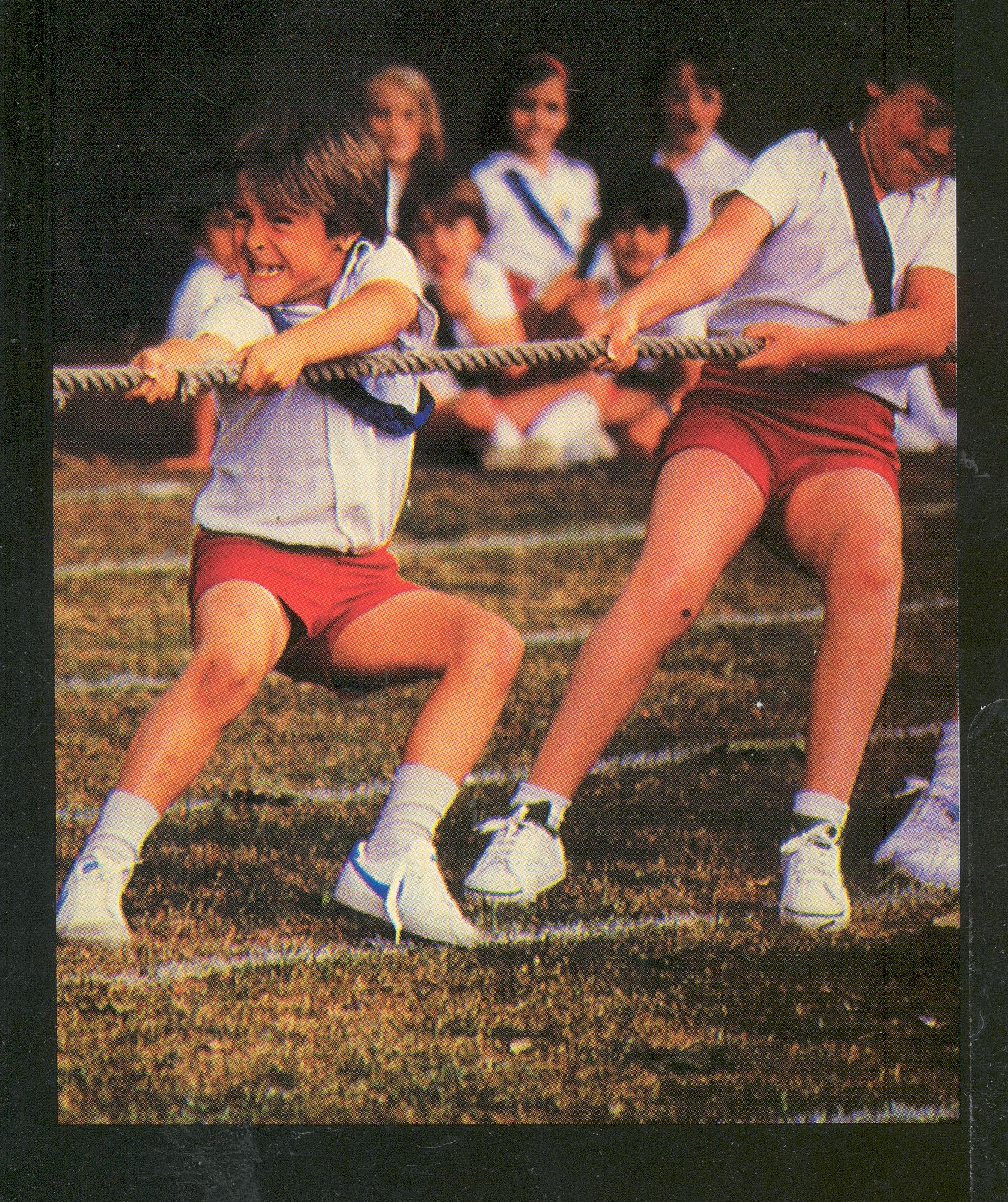
آباء و أبناء



د.كرم حليم شحاتة

آباء وأبناء

تأليف

د. كرم حليم شحاته



طبعة أولى ديسمبر ٢٠٠١

English Title: **Fathers & Sons** | **آباء وأبناء**

Author: Karam Halim | المؤلف: د. كرم حليم شحاته

Arabic Publisher:- | الناشر باللغة العربية:-

Lighthouse Book Center | **مكتبة المنار**

17,Murad El-Sherei st., | ١٧ش مراد الشريعي

Saint Fatima. Heliopolis, | سانت فاتيما ــ مصر الجديدة

Cairo, Egypt.

Tel: (02)6395030 | تليفون: ٦٣٩٥٠٣٠ (٠٢)

Fax: (202)2403848 | فاكس: ٢٤٠٣٨٤٨ (٢٠٢)

Mobil: 012/3233352

رقم الإيداع : ٢١٤٣ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولي : 977-5674-59-X

المحتويات

إهداء

إلى ... فادية... وفيق... وسيم

أسرتي الصغيرة

مصدر إلهامي

مقدمة

لعل التربية إحدى المهام الجسام للأسرة.. ورغم أهميتها إلا أننا نتعلم التربية من خلال احتكاكنا بأولادنا مما يجعلنا نُصيب أو نخيب. والخطر كل الخطر أن نحاول أن نُشكّل أولادنا وفقاً لتصوراتنا المشوهة أو وفقاً لآمال لنا لم نستطع أن نحققها أو عنوان لنا نريد أن كل الناس تُبهر به. ناسين أننا ـ نحن الوالدين ـ إفراز لقيم المجتمع التي تضغط علينا بشدة فينعكس الضغط علينا ونحن نربى أولادنا. كم نحتاج أن نتغير نحن الوالدين لندرك هذا الخلل الذي فينا وهذه القيم المعوجة التي تدفعنا. ولنكتشف ما هي القيمة الحقيقة التي يجب أن نتعاون من أجل ارتباط أولادنا بها.

في هذه المحاولة المتواضعة مني قصدت أن ألفت نظر الوالدين إلى دوافع سلوك أطفالنا وربما عندما نفهمها نستطيع أن نعاونهم لكي ينتقلوا من مرحلة اللامسئولية إلى مرحلة المسئولية بتوازن وبقدرة لتكوين صورة صحيحة عن أنفسهم وعن ارتباطهم بالقيمة الحقيقية التي قصدها الرب من التربية الصحيحة.

المؤلف

الفصل الأول
المهارة الحقيقية

ما من مرة يأتي ذكر الأطفال فيها في محضر الوالدين إلا ويكون مصحوباً بالتعبير عن المعاناة والضجيج والصراخ والعناء والتصميم وغيرها من المصطلحات التي تحمل معاني الألم، والقلة منا كآباء تُذْكر الأبناء بالإبتسام والرضى ...

وقد نتساءل لماذا ...؟ ولا نجد إجابة واضحة.

ولعل ذلك يرجع في حد كبير منه إلى أن مجتمعاتنا تتطلب منا ما بين الخمسة عشر سنة إلى العشرين سنة في الدراسة حتى تعطينا الفرصة لنمارس مهنة الطب أو الهندسة أو التجارة. بل إن الصانع أو العامل لا يستطيع أن يمارس صنعته باقتدار. ما لم يقضى فترة طويلة في التدرب على تلك الصنعة ولكننا مع الأسف ندخل مرحلة الأبوة والأمومة دون تدريب مسبق ونجتهد كغيرنا في محاولة تربية أبنائنا بحسب رؤيتنا لما هو صحيح. وما يؤثر في مثل هذه الرؤية من تأثير المجتمع علينا وطريقة تربيتنا نحن الوالدين وطريقة نظرتنا لذاوتنا.

وربما ترجع هذه المشكلة إلى أنّ الحمل والولادة من الوظائف الطبيعية لجسم الإنسان والتي يمكن أن تتم بدون تدريب مسبق. ولذا فإن عدد كبير منا كآباء يَفترض أن تَّربية الأطفال شئ طبيعي. ولكنه من

الواضح أنَّ العكس صحيح...!

إنَّ الحياة في جو الأسرة يمكنها أن تؤثر في اتزان الأبناء عاطفياً وبالتالي تؤثر في نموهم الروحي.

سُئلت سيدة في إحدى المرات عن والدها فقالت أنه محب، عطوف..، رقيق.. ولكنني أشعر أنه بعيد..

وبعد عدة أسابيع سُئلت نفس السيدة مرة أخرى عن الله فقالت أنه محب..، عطوف..، رقيق.. ولكن يبدو أنه بعيد..

لقد استخدمت السيدة نفس التعبيرات لوصف الله وأبوها وليس ذلك بمستغرباً..

فإن صورة الله في ذهن أطفالنا تتأثر بعلاقاتهم بوالديهم. وحيث أن الله شخص غير مادى يوجد في السماء فإنه من الصعب على الطفل الصغير أن يتخيله.. ولقد أوجد الله الأسرة كنظام.. ولتصبح المجال الذى يتعلم فيه الطفل عن طبيعة الله...

لقد استخدم الرب العديد من التعبيرات المادية ليعلمنا عن الحقائق الروحية. استخدم مثلاً النور (يو٨: ١٢) ليشير إلى النور الحقيقي، واستخدم أيضاً الأب الأرضي (عب١٢: ٧-١٠) ليمثل الآب السماوي. وعندما ينمو الطفل ويتعلم المحبة والعدل من أبيه الأرضي، فإنه يستطيع بذلك أن يفهم ماذا يعنى الله بالنسبة له.

ويؤكد الرب يسوع على هذه الفكرة في إنجيل (مت٧: ١١)

"فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحرى أبوكم السماوي..."

إن هذه الرسالة توضح لنا أن الطفل يمكن أن يرى بعضاً من فضائل والديه مكبرة في الإله السماوي...

إن الآباء الناضجين الملؤين محبة من السهل عليهم أن يجعلوا أطفالهم يفهموا بعضاً من صفات الله والعكس صحيح فالوالدين المتسلطين القلقين الغير قانعين يمكن أن يقدموا صورة هزيلة للأبوة، وبالتالي فإن أطفالهم من السهل أن يروا الله بعيداً غير مهتم، مترصد بهم لعقابهم...!

تُحكى قصة عن أب وضع ابنه الصغير على منضدة وطلب منه أن يقفز في حضنه.. وعندما قفز الابن تأخر الأب خطوة للوراء فسقط الابن على الأرض.. "لقد ابتعدت حتى تتعلم ألا تضع ثقتك في أحد ما.." كان هذا منطق الأب.. لكنه نسى أنه بهذا المسلك يقدم صورة مشوهة للآب السماوى المحب..

إننا كثيراً ما نعاقب أطفالنا ولسان حالنا "هذا لصالحك" ولكن الواقع يقول "هذا العقاب يريحني.. يُنفس عنى.. يفرغ ما بداخلي من غضب منك!!"

وكثيراً ما نقطع على أنفسنا العهود كوالدين ولا نحرص على الإيفاء بها. وهكذا نعلم أولادنا شيئاً فشيئاً ألا يثقوا بنا.. وينعكس

هـذا الموقـف علـيهم عـندما يصـبحون مؤمـنين فقـد يواجهـون مشـكلة عـدم الـثقة.. إنهـم وثقـوا فيـنا المـرات تلـو المـرات وخـاب ظـنهم.. ولذا فإن إيمانهم من الأجدر أن يكون ذلك الإيمان الحذر! !

ولـيس معـنى ذلـك أنـنا كوالديـن المصـدر الوحـيد لمعـرفة أولادنـا عـن الله... ولكـن ردود أفعـالهم العاطفـية الـتي تنشـأ في مـرحلة الطفولـة قـد تتداخل مع ما يُقَدَّمُ لهم من معلومات كتابية عن الله..

ألم تعترينـا كآبـاء في بعـض الأحـيان تلـك الأفكـار.. تشـعر أن الله لا يفهمـك.. وتشـعر أنـه مـن الصـعب الـثقة في أنـه يـريد خـيرك.. وأنَّ طريقـته في تدريـبك صـعبة.. وأنـه لا بـأس مـن الـثقة بـه ولكـن إلى حـدود.. كـل هـذه المشـاعر جـاءت مـن خـبرات الطفولـة ومـا ترسـب في أعماقـنا عـن صـورة الأبـوة الـتي قُدمـت لـنا مـن خـلال والديـنا ومن خلال البيئة والمجتمع الـذي نشـأنا فـيه.. ألم نتعـلم مـنذ الصـغر أن القـبول لأنفسـنا مرتـبط إلى حـد كـبير بأدائـنا.. وإن المحـبة المقدمـة لـنا محـبة مشـروطة.. فكـلما كـان أداءنـا أفضل كلما نلنا قسطاً أوفر من المحبة والقبول ممن هم حولنا.

ممـا سـبق يتضـح لـنا حجـم المسـئولية الملقـاة عـلى عاتقنا كوالدين تجـاه أطفالـنا.. ممـا نسـتطيع أن نقـدم لهـم مـن معونـة ومسـاعدة ليشـبّوا باتزان.. فيصبحوا أدوات صالحة في يد الرب..

إن المهارة الحقيقية لنا كوالدين أن نستطيع أن نرى بعيون أطفالنا ونسمع بآذانهم.. ونفهم مخاوفهم.. وندرك حاجاتهم.. ونقبل تقصيراتهم.. ونشجعهم حتى يَخطوا خطواتٍ مستقلة على طريق المسئولية.

الفصل الثاني
ما نسميه النفس

في عقل كل منا توجد صورة يحيط بها الضباب عما نسميه النفس... وكلنا يريد أن يعرف هذه النفس ونظل طيلة حياتنا نعمل جاهدين في أن نزيل الأتربة وكل غشاوة.. حتى نحدد الملامح الرئيسية لهذه النفس.

ولعله توجد ثلاثة أسئلة في أذهاننا تحدد إدراك الإنسان لنفسه: هى من أنا؟ .. ماذا أنا؟ لماذا أنا؟

السؤال الأول: من أنا ؟

سؤال يحدد الملامح التي تميزنا عن الآخرين.. إن اسمنا علامة من علامات التحديد التي تحدد هويتنا وعندما نُسأل من نحن.. عادة نجيب بأسمائنا... جنسياتنا.. مهارتنا.. جنسنا..

السؤال الثاني: ماذا أنا ؟

يعرفنا وسط الآخرين فأحيانا نجيب.. أنا زوج.. أنا مُدرس.. أنا رجل أعمال.. إنه السؤال الذي يختص بكيفية أدائنا.

السؤال الثالث: لماذا أنا؟

يحدد سبب حياتنا.. هدفنا.. ما نتطلع إليه. لو كنا نفكر بطريقة

صحيحة فإنه توجد إجابة واضحة للسؤال من نحن؟ ولكن قد نجد المزيد من المتاعب عند الإجابة عن السؤال ماذا نحن.. إنها الإجابة المتعلقة بإنجازنا.

ولعل أصعب سؤال يمكن أن يمر بأذهاننا هو لماذا نحن.. ما هو هدفي القصير أو البعيد المدى..؟

قد لا نظن بأن لنا رأياً واضحاً في أنفسنا لكننا في نفس الوقت نستطيع أن نجيب بوضوح كيف نؤدى أعمالنا، وبماذا نشعر تجاه الأشياء حولنا.

إن صورة النفس هى صورة ذهنية لأنفسنا... إنها الإحساس بـ "الأنا" بكوني إنساناً ما.

ولكن أخطر ما يكون حول صورة النفس أن بدايات تكوينها تتم في مرحلة مبكرة من حياة الطفل من خلال الخبرات التي يواجهها..

لعل العديد من هذه الخبرات قد يُنْسى ولكنها مازالت تؤثر في طريقة تفكيرنا وإحساسنا تجاه أنفسنا.. فمن المؤكد أن العقل اللاواعى لدينا لا يَنسى أبداً هذه الخبرات.. قد لا يكون للعقل القدرة التي بها يستدعى هذه الخبرات أو الذكريات كلها. لكنها ما تزال موجودة.

إن أغلبنا لديه ذكريات عن بعض المواقف التي كان يشعر فيها بالتقدير .. وذكريات أخرى من الألم.. هذه الذكريات ـ الجيد فيها والسيئ ـ تؤثر فيما نسميه صورة النفس..

لكن الجانب المشرق تجاه موضوع النفس... أنه موضوع غير جامد

بمعنى أن فكرتنا عن أنفسنا يمكن أن تتحسن عندما تتم استنارة أذهاننا أو يتغير أسلوب تفكيرنا.. وحتى الذكريات السيئة التي كانت تؤثر سلبياً على نظرتنا لأنفسنا يمكن مع تغيير طريقة التفكير أن نفقدها مفعولها وتصبح خبرة من خبرات الماضي التي نتجنب الوقوع فيها مستقبلاً..

الق نظرة صحيحة على نفسك..

إن هذه الصورة الذهنية التي تَحدثتُ عنها تشمل القيمة التي تحكمنا.. مشاعرنا.. علاقاتنا.. اتجاهاتنا.. أدائنا.. مركزنا..

إن هذه الصورة تمثل رأى الإنسان في نفسه وهذه الصورة ثلاثية الأبعاد..

البعد الأول: ما يختص بالمظهر (To Have)

"كيف أبدو؟" سؤال كثيراً ما نردده للآخرين "سواء درينا أم لم ندرى فإن السؤال عن مظهرنا يوضح جزء من طريقة تفكيرنا.. وعادة عندما يلتحق إنسان بعمل جديد يحاول أن يظهر بأحسن مظهر. بل إن بعض الإرتباطات العاطفية تبدأ أولاً بسبب المظهر الذي يشد إنسان لآخر.

ولعلنا نسمع كثيراً عن الرجل "الشيك".. وهذه السيدة "الأنيقة" أو نكرر بعض العبارات التي توضح جلياً اهتمامنا بالمظهر مثل "من أين حصلت على هذه البدلة الرائعة..!"

إننا نُقدِّر دائماً طريقة تفكير الآخرين فيما يختص بامتداح مظهرنا.

البعد الثاني: ما يختص بأدائنا (TO DO)

من الطفولة ونحن نتعلم أنه علينا أن نتفوق في أى مجال والغالبية العظمى منا تعتقد أنه أيا كان أدائنا فإنه من الممكن أن نحسنه إذا جربنا أن نؤديه مرة ثانية، في المدرسة نُقيمّ بالدرجات وفي المنزل نُقابل بالإستحان أو الإستهجان للأداء الغير صالح..

إن أدائنا هو أحد الأركان الأساسية في موضوع صورة النفس.؟ إنه يتعلق بنظرتنا لقدراتنا.. مهاراتنا.. معرفتنا.. إحساسنا بالمسئولية.

البعد الثالث: ما يختص بمنزلتنا أو وضعنا (TO BE)

"كم أنا مهم...؟ " سؤال يهمنا جميعاً فالإحساس بأننا محترمين ومحل تقدير الآخرين مطلوب لكل منا.. ومن السهل أن نشعر بالضعف والنقص عندما يهملنا الآخرون أو يتجنبونا أو يتهكموا علينا. ولعل النظام الإجتماعى الذي نعيش فيه يضع عنواناً لكل إنسان.. فهذا رئيس الشركة أو مالك العقار.. أو مدير المدرسة أو... إن مركزنا هو أحد الأركان الرئيسية في موضوع صورة النفس الذي يختص بنظرتنا لمدى أهميتنا وسط الآخرين.. عائلتنا.. سمعتنا.. ثروتنا.. شهاداتنا.

وعندما نفكر في مظهرنا وأدائنا ومركزنا فإننا نتخيل أننا نقف لنشاهد أنفسنا.. وما نراه حصيلة العديد من الذكريات التي تراكمت في مرحلة مبكرة من حياتنا.. مرحلة الطفولة.. مرحلة اللامسئولية.

الأحاسيس الأولي للنفس:

لكـى نفهـم ماهـية أحاسيسنا تجاه أنفسنا نحتاج إلى أن نعود للوراء لفترة ما قبل الولادة..

ذلك أنَّ نمو فكرة النفس يعتمد على تراكم إحساسنا عن أنفسنا فكرة بعـد فكـرة. وهـذه الخـبرات تُسجل في ذاكرتنا وتؤثر تأثيراً مباشراً في استجابتنا للأحداث في حياتنا.. وهذا التراكم للذكريات في العقل اللاواعى يُشكل شبكة من نبضات الإهتمامات والإستجابات التى تشكل طريقة تفكرنا.

المرحلة الجنينية

ولنبدأ من مرحلة ما قبل الولادة حيث يُفترض أن الطفل قبل الولادة يعـيش في حالـة مـن الهـدوء. إنـه جزء من أمه مزروع داخلها في أمان تام محاط بسائل يمتص كل ما يتعرض له من صدمات وحركات مفاجئة.. يضمن له درجة حـرارة مناسبة لتوفير أقصى درجات الحماية.. وكل الظروف المحيطة بالجنين تـبدو أنهـا سُخِّرت مـن أجل سعادة وسلام هذا الملك المتوج. وربما لا يستطيع أحـد أن يسـتدعى الأحاسيس الأولى في الحياة ولكننا يمكن أن نتخيل تأثير هذه الأحاسيس على ما نهتم به من موضوعات أثناء نمونا فمثلاً الناس في كل الأعمار تنشـد الأمـان والهـدوء وكلنا نتطلع إلى السكينة والإحساس الداخلي بالتماسك.. نتحاشـى المصاعب كما لو كنا ننشد تلك الحالة التي كنا فيها وفقدناها بالمجيء للعـالم.. هـذا بالإضافة إلى حاجتنا في أن نشعر بالإرتباط بالآخرين في علاقة ما.. فإننا لا نشعر بأننا كاملين في أنفسنا وبالتالى فإن لدينا إحساس بالإرتباط والإنتماء

حـتى نواصـل الحياة.. وعندما ندرك أن أغلب هذه الأحاسيس تأتى من مرحلة مـبكرة في حياتـنا.. فإننا ندرك أيضاً حاجتنا لأن نُقبل من الآخرين.. إنها تلك الأحاسيس التي نستمدها من المرحلة التي لنا فيها جزء من أمهاتنا.

الأزمة الأولي:

بالرغم من حالة الهدوء والسلام التي يتمتع بها الجنين إلا أنه يفقد هذه الحالة باختبار الولادة.. وهكذا يُطرد الملك من جنة عدن لعالم الشقاء "ولأنه لا يملك أي مهارات فإنه يحتاج لمن يهتم به" إن عليه أن يفعل شيئاً ليبقى حياً وليحـتفظ بإحساسـه بالأمـان. وهكـذا فـإن علـيه أن يواجـه مشكلة بعد أخرى. وبالنسـبة لجـنين لا يعرف شيئاً عن عدم الراحة فإن اختبار الولادة يعتبر حدثاً هامـاً في حياته.. إنه لا يستطيع أن يعود مرة أخرى لبطن أمه طلباً للراحة ولعله لم يـنمو بـالقدر الـذي معـه يـدرك أنـه منفصل عن أمه ولكن الخبرات المقبلة في حـياته سـوف ترسـخ هـذه الحقـيقة في ذهـنه.فبعد الولادة يبدأ في اختبار شعور غريب لم يختبره من قبل يزداد حتى يصبح مؤلماً.. إنه الجوع.. الذي يمثل أكبر مشكلة في حياته وبالتالي فإنه يصرخ حتى يُعلم العالم حوله بحاجته للغذاء.. إنه يصـنع شـيئاً "يصـرخ" لنفسـه حتى يتم الإعتناء به.. وهذا أول اختبار ناضج في حياة الطفل.. وكل مشكلة تقابل الطفل تساعده في مرحلة النمو.

بداية الإحساس بالكينونة:

إن الطفـل حديـث الولادة لا يكون مؤهلاً بما نسميه تقييم النفس.. فهـو لا يبتسم ونادراً ما يفتح عينيه.. بل إنه غالباً ما لا يشعر أو يدرك وجوده..

وقد يشعر بالبرد أو الحر.. الجوع والعطش.. الألم.. الصوت العالي وغيرها من الأحاسيس الجسدية لكنه مازال لا يدرك نفسه كشخص متميز بل أنه لا يدرك أن أمه شخص منفصل عنه. فليس لديه أى فكرة جسدية أو عاطفية عن نفسه. إنه مجرد حزمة من الإمكانيات التى تنتظر تأثير البيئة المحيطة به لتشكله كإنسان معتمد على ذاته. وهو الآن على مشارف بداية الرحلة التى سوف تشكل اتجاهه نحو نفسه والسبيل الذي يسلكه الطفل في هذه المرحلة والمعونة التي يتلقاها في الطريق هى التي تحدد تماماً فكرته عن نفسه.

الإثنى عشر شهراً الأولى في حياة الطفل:

خلال السنة الأولي من عمر الطفل ينمو الجهاز العصبي للطفل بسرعة وتنضج العديد من الوظائف الجسدية. فبعد أن كان الطفل في اتحاد تام مع أمه خلال الحمل يبدأ الطفل في إدراك أنه إنسان متميز. في البداية يكون هذا الإحساس غامضاً بالنسبة له ولكنه مع الوقت يبدأ في إدراك وجود أشياء "هناك" مثل المقعد، الزجاجة، اللعبة. ووجود أشياء "هنا" مثل يديه ورجليه وأصابعه وهذه الأشياء الموجودة "هنا" تذهب معه أينما ذهب وباقي الأشياء الموجودة "هناك" لا تذهب معه.

ويبدأ الطفل في إدراك أنه حالما وضع الأشياء الموجودة "هنا" أعنى يديه أصابعه رجليه في فمه فإنه يحس بإحساس يختلف عن الأشياء الموجودة "هناك" ثم ما يلبث أن يجد لذة في مص يديه وأصابعه وهذه الخبرة تساعده على التمييز ما بين نفسه والبيئة المحيطة به. ويبدأ الطفل في البحث عن الأشياء

التي تشعره بنفسه والأشياء التي لا تشعره.

هـذا النمو هو بداية إدراك الصورة الجسدية لنفسه. وحيث أن بداية إدراك الطفـل لنفسه غالباً ما تكون جسدية فإن هذه الخبرة الجسدية تلعب دوراً هامـاً في تكويـن فكـرة عن نفسه فإذا تم الإعتناء به وتغذيته وحمايته فإن خبرته الأولى سـوف تكـون إيجابية.. وبالمثل إذا اهتمت به الأم وأعدت له بيئة مريحة خالية من التوتر فإنه ينمو هادئ الطبع والعكس صحيح.. فلو كانت شهور الطفل الأولى غير إيجابية فإن فكرته عن نفسه سوف تكون مختلفة.

فقـد ثبـت أَن الشـهور الأولى في حـياة الطفـل عـندما تكـون مليـئة بالأمـراض والجوع والتوتر وغياب الأم فإنها غالباً ما تنتج طفلاً متوتراً.. ذو فكرة مهتزة عن نفسه..

ويذكـر الطـب أنـه مـنذ عشرات السنين كان واحداً من أهم المشاكل الطبـية الـتي تهـدد حـياة الطفـل مرضـاً يعـرف باسـم Marasmus "الهـزال التدريجي" وهو مرض يصيب الطفل في عامه الأول وكان هذا المرض سبباً في وفاة نصـف الأطفـال في هـذا السـن.. ولأسـباب غـير معلومـة كـان بعضاً من الأطفال الأصحاء تهزل تدريجياً وتصبح ضعيفة جسدياً وربما تموت. وبعد إجراء العديد مـن الأبحـاث جـاءت الـنتائج تدعـو للدهشـة. فقـد وُجد أن العديد من الأطفال المولوديـن في أفضـل البيوت تهزل تدريجياً في حين أن العديد من أطفال البيئات الفقـيرة لا تهـزل وبإجراء مزيد من الأبحاث وجد أن العامل الوحيد المختلف في البيئـتين هـو محـبة الأم وعنايـتها لقـد ثبت عملياً أن نقص محبة الأم وعنايتها يمكن أن يقود الطفل إلى المرض وربما الموت.

مع نهاية عام الطفل الأول:

مـع نهايـة العـام الأول يـبدأ الطفـل في الحـركة ليكتشـف البيـئة المحـيطة به ويبدأ في تعلم أولى كلماته. ولا يصبح هناك شيئاً بعيداً عنه. ويصبح كل ما حوله من أطباق أو أكواب أو مصابيح.. كنوزاً بالنسبة له.. وخلال اكتشافه لما حوله قد يحمل حملاً ثقيلاً ثم ما يلبث أن يسقطه فإن كان لعبة فإنه يلتقطها ثانية أما إذا كان طبقاً فمجرد سقوطه وكسره فإنه ينزعج لما أحدثه وغالباً ما يكون رد فعـل الأم أو الموجودين حو له "خللى بالك".. "لا...لا" وهكذا يبدأ الطفل في القلـق عـلى نفسـه وعـلى نشاطه "لابد أن أكون حريصاً.." ربما يظن الطفل "لقد صنعت شيئاً خطأ.. إنني طفل مزعج..!"

ولكـي نسـتطيع أن نفهـم مـثل هـذا السـلوك الطفولي.. تخيل أنك وُضِعْتَ على كوكب بعيد حيث توجد حضارة غير معلومة لك.. ولغة أجنبية لا تعرفها.. وعالم مليء بالأشياء الغريبة حولك.. وتخيل أن عمرك سنة واحدة فقط وبالـتالي فإنـه مـن الصعب عليك الحديث أو الذهاب لأى مكان بدون والدتك.. سـتتعجب مـن الأشياء الغريبة حولك وتخطو خطوات غير متزنة لتلمس الأشياء الغريـبة حولك وتبتسم وتلتقط بعضها ثم فجأة يظهر رجل ضخم بالنسبة لك من رجـال الفضـاء فـيأخذ مـا قـد التقطه ويصرخ فيك "لا" وبكل ما لديك من خوف تحـاول أن تشغل نفسك بشيء آخر وكل مرة تحاول اكتشاف شئ جديد في هذا العـالم الغريب، سـوف تصـطدم بمعوقـات وعندئذ ستبدأ في الشعور بالصغر وعدم الأهمية والإحباط . هذه صورة لما يواجهه الطفل. هل يستطيع أن يكتشف العالم حوله أم عليه أن يتردد مرات قبل أن يتعلم أى شئ عن ما حوله؟

ومع نهاية عامه الأول يبدأ الطفل في تكوين صورة ذهنية واضحة عن نفسه فقد نضج جهازه العصبي للدرجة التي معها يستطيع أن يميز نفسه عن الآخرين ويستطيع أن يُكون صورة واضحة عن نفسه.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه أين يجد هذه الصورة؟

إنه لم ينضج بالقدر الذي يجعله يستطيع أن يقيِّم الأمور فهو لا يستطيع أن ينظر مثلاً في المرآة ويفكر "إن مظهرى لائق اليوم" أو "إننى أستطيع أن أخرج للعالم اليوم" إن المرآة الوحيدة للطفل هي تعليقات وتقديرات الآخرين حوله لذا فإن ما يستقبله الطفل من حوله وخاصة من والديه يمثل عنصراً هاماً في تقييم الطفل لنفسه. إن السنة الأولى في عمر الطفل هى أساس إحساسه بأنه إنسان ما أو إحساسه بأنه لا شئ ما.....!

ومن أهم الأحاسيس التي يكتسبها الطفل في عامه الأول هى الإحساس بالإنتماء الذي يتكون للطفل من خلال قبوله بمحبة في أسرة تؤكد له تفرده وتميزه. وإحساس الطفل بالأمان مرتبط إلى حد بعيد بإحساسه بالراحة فعندما يشبع يشعر أنه شخص هام وعندما يجوع ويتألم أو يشعر بالوحدة فإنه لا شئ على الإطلاق. وربما يأخذ إحساس الطفل بنفسه أحد مسلكين أحدهما عندما يشعر بالراحة والشبع والآخر عندما يُحب ويقبل ممن هم حوله. الإتجاه الأول أنانى غير مستقر لأنه مرتبط بالمسبب له أعنى الإشباع والراحة. والإتجاه الثاني هو نتيجة تراكم الذكريات الطيبة من خلال محبة الوالدين وهى الذكريات التي تحفظ للطفل توازنه حول فكرته عن نفسه سواء شعر بالإشباع الجسدى أم

لا. والطفل الذي يعوزه الإحساس بالقبول والمحبة من والديه قد يسلك دون أن يدرى في المسلك الذي يجعله يشعر بتفرده من خلال إشباع حاجاته والإستمتاع بالراحة التي ينشدها. إن محبة الوالدين لابد أن تكون مجانية فليس على الطفل أن يقدم شيئاً ليستحقها. لابد وألا تكون مشروطة بأى شئ، أداء كان أو مَلَكَة. لابد أن يُحَبّ الطفل لذاته. إنها الحاجة الأصيلة التي خلقها فينا الله. الحاجة إلى أن نُحَب. إن الحاجة للإحساس بكينونتنا احتياج عام يشترك فيه الجميع. ولا يستطيع إنسان ما أن يؤدى وظيفته في الحياة ما لم يشعر بكينونته ولعل هذا الإدراك بحاجتنا لتأكيد هويتنا أو ذواتنا نتج لقصور علاقات المحبة في الطفولة. فنحن مخلوقات اجتماعية نحتاج أول ما نحتاج أن نشعر أننا مقبولين من الآخرين ثم نحتاج أن نشعر بصلاحنا ونحتاج أيضاً أن نشعر بقدرتنا أن نواجه المواقف المختلفة في الحياة ومن الصعب أن نشق طريقنا في الحياة ونحن نحمل فوق ظهورنا مشاعر اللفظ أو العجز أو الضعه.

بعض تعبيرات الوالدين وفكرة الطفل عن نفسه:

الكثير منا كوالدين لديهم بعض المصطلحات لتحفيز أبنائهم أو للتعبير عن استيائهم. فعندما ينام الطفل كثيراً فهو "كسول" وعندما يخطئ فهو "غبي" وعندما لا يتعاون فهو "عنيد" وعندما تعم حجرته الفوضى فهو "زبال" وغيرها من المصطلحات. ولكن للآسف فعندما نُلقب الطفل بمصطلح ما فإن هذه الصورة غالباً ما تلتصق بذهنه وبتكرار هذا النداء أو المصطلح تتشكل في ذهن الطفل صورة أو فكرة عن نفسه فهو "خائب" أو "غبي" أو "رأسه ناشفة" وتصبح هذه الصفات إحدى العناصر الأساسية في رسم الطفل لفكرته عن نفسه.

وللأسف فقد تظل مثل هذه المصطلحات محفورة في أذهاننا عندما نكبر بالرغم من عدم وجود أساس لها. إن الرجل الذي كان ينادى بـ"غبي" أو "الحمار" عندما كان طفلاً ليس من السهل عليه أن يقبل نفسه كإنسان متفوق في الدراسة أو العمل عندما يكبر. وفي نفس الوقت عندما يقدم الوالدين المحبة والإحترام والثقة لأطفالهم فإنهم يضعون أساساً قوياً لنظرة صحيحة من الطفل لنفسه. إن المديح.. الإعجاب.. الصبر.. القبول.. تقطع شوطاً بعيداً في مساعدة الطفل لتكوين مثل هذا الإتجاه البّناء نحو نفسه.

وحيث أنه لا يوجد والدين كاملين.. فإننا غالباً ما ندخل مرحلة النضج بمشاعر مختلفة عن مظهرنا.. ذكائنا.. قيمتنا.. لو نجح والدينا في إعطائنا مزيد من الثقة والإحترام والمحبة فسوف يُترجم هذا في اتجاه إيجابى نحو أنفسنا والعكس للأسف صحيح.!

الفصل الثالث
طبيعة مرحلة الطفولة عاطفياً

نحـن عادة نتوقع من أطفالنا أن يسلكوا سلوك من هم أكبر سناً. ولكي نستطيع أن نربى أطفالنا بطريقة سليمة لابد أن نفهم ما هى طبيعة الطفولة وكيف يرى أولادنا العالم. علينا أن نفهم رغباتهم، أهدافهم، حاجاتهم، مخاوفهم.

يلقـي هـذا الفصـل الضـوء عـلى حاجـات الطفـل العاطفـية وبعض الأسباب الخفية لتصرفاته.. وهذا قد يساعدنا لنفهم ذلك العالم الخاص بهم.

ما هى الحاجات النفسية والعاطفية للطفل؟

أولاً: الحاجة للثقة والقوة

الطفـل حديث الولادة يعتمد اعتماداً كلياً على الآخرين فهو بدونهم لا يسـتطيع أن يحـيا. ولا يسـتطيع أن يعـتني بنفسه وبعد فترة يجد الطفل أن صـرخاته تحضـر والديـه سـريعاً نحـوه. ولعل هذا أول نجاح يتحكم به في عالم الأقوياء أعنى عالم الكبار ذلك العالم الذي يحيط به بمجموعة من الكبار والأطفال الأقويـاء الذيـن ينافسـونه في الإهـتمام الـذي يطلـبه. إنـه ضـعيف تحت سيطرة الآخـرين وفي كل مرة يكون لديه احتياج (جوع ـ عطش ـ تبول ـ ألم) يجد نفسه محاطاً بجو من التوتر ولكي يتغلب على هذا التوتر لابد أن يجد طريقاً يحكم به عـالم الكبار. لابد أن يدعم إحساسه بالثقة والقوة. فبحكمه للعالم حوله يشعر أنه

آمـن. ولعـل الـتحكم في العـالم حـول الطفل هو أول درس يعيه. وهذا التحكم له نموذجان، الأول إيجابي: ألا وهو الحاجة للثقة والثاني سلبي: وهو الحاجة إلى القـوة. والطفل في حاجة لأن ينمى الإحساس بالثقة حتى يشب صحيحاً نفسياً، وأغلبنا لا ينس بعض تصرفات أطفالنا في محاولة منهم للتحكم في العالم حولهم. فعـندما يدخـل الطفل لينام مثلاً ويجد أنّ أبوَيه يجلسان للإستمتاع بالراحة يبدأ الطفـل في سلسلة من الطلبات تبدأ بقبلة المساء وقد تطلب الأم من طفلها أن يعود لفراشـه مرة أخرى لكنه ما يكاد يدخل فراشه حتى يطلب كوب من الماء فتطلب الأم مـن الطفـل بحزم أن ينام لأنه إحتسي كوب من الماء منذ فترة قصيرة. ثم ما يلبـث الطفـل بعـد فـترة قصـيرة أن يطلب الذهاب للحمام وترد الأم أن عليه أن يعـود بسـرعة لفراشـه فيرد الطفل أنه لا يستطيع أن يخلع ملابسه حتى يدخل الحمـام فـتقوم الأم وعيناها تشير إلى حالة الغضب التي تتملكها. لقد كان الطفل وأمـه في معـركة للقـوة وكانت الأم تحاول أن تجبر الطفل ليدخل فراشه والطفل يـريد أن يخـرج مـن الفراش وعندما تنجح الأم في إدخال إبنها إلى الفراش فإنها تكـون في موقـع المسـيطر ولكـن الطفـل لا يستسلم بسهولة فيظل ينادى مرة بعد أخـرى حـتى تفقـد الأم أعصـابها ويكسـب الطفل الجولة لفترة. لقد نال الطفل الإهـتمام الـذي كـان يـرجوه وأثبت أنه ليس عليه أن يذهب للفراش بل استمتع بإزعاج أمه. إنها معركة القوة والتحكم.

إن بحث الطفل عن إحساس الثقة والتحكم يمكن أن يوجه سلوكه..

فـإن الكـثير من الأطفال يبحثون عن هذه الأحاسيس من خلال تقليد الوالدين في حمل الأشياء الثقيلة مثلاً.

والرغبة والحاجة للثقة عطية إلهية.. فكلنا يريد أن يشعر بالرضا والثقة ولعل هذا الشعور هو أحد علامات النضج العاطفي. إنه السلام الداخلي الذي ينبع من هذه المشاعر التي ترتبط بقدراتنا.. ولذا فإن علينا أن ننمى هذه المشاعر في أطفالنا. والبحث عن الثقة والقوة يمكن أن يصبح خطأ إذا ما قاد إلى الصراعات ومعارك القوة.. وأغلب الأطفال في المرحلة المبكرة من حياتهم يعتقدون بأنّ عليهم أنْ يسيطروا على مَن هم حولهم حتى يشعروا بالأمان وقد تستمر هذه الأحاسيس مع البعض في الكبر فلا يشعرون بالأمن ما لم يكونوا في موقع يتحكمون من خلاله في الآخرين. وقد تكون محاولة الطفل لكسر القواعد محاولة منه لإثبات قوته. لكن الحقيقة التي يجب ألا تغيب عن أذهاننا أن الطفل على المستوى العميق يحتاج لضوابط . وإن لم توجد هذه الحدود والضوابط فمن السهل ألا يشعر الطفل بالأمان.

ثانياً: الحاجة للمحبة والإهتمام

وكثيراً ما نرى أطفالنا ما أن يرونا نجلس لنتصفح الجريدة مثلاً حتى يأتي الطفل إلينا ليضرب الجريدة ويطلب من أبيه أن يلعب معه وعندما يخبره والده أنه مجهد لأنه عائد من العمل قد يصمت برهة ثم يعاود الطلب مرة أخرى. وعندما يرجئ الأب الطلب قد يرد الطفل "يا أبي أنت لا تلعب معي أبداً!" ويشعر الأب بالذنب وإنه لن يهنأ بقراءة الجريدة ما لم يشبع حاجة الصغير فيذهب للعب معه وبعد دقائق يشعر الصغير أنه في حالة من الرضا ويعود الأب لجريدته مرة أخرى.

لعل هذا التصرف يوضح بعض أهداف سلوك الطفل إنه يبحث عن المحبة والإهتمام ورؤيته لوالده خلف الجريدة تشعره بأنه بعيد لا يهتم به. ولعل البحث عن المحبة والإهتمام تفسر إلى حد كبير بعضاً من سلوك أبنائنا. والحاجة للمحبة والإهتمام عطية إلهية بدونها لا يصبح للحياة طعم. وعندما يفشل الطفل في كسب المحبة والإهتمام قد يسلك سلوك خاطئ لمجرد إشباع الحاجة. فعندما يفشل في أن يُخرج أمه من المطبخ أثناء انشغالها قد يتعمد أن يرسم على الحائط أو أن يكسر شيئاً في محاولة لا شعورية منه للحصول على الإهتمام. لكن المشكلة أن العديد من الأطفال لا يستطيع التمييز بين الحاجة للمحبة والإهتمام. فالمحبة حاجة بنّاءة ولكن البحث عن الإهتمام دافع غير سليم. وبعض الأطفال يخلط الأمر فيعتقد أنه لابد أن يكون في مركز الإهتمام حتى يُحب من الوالدين وعندما يسلك الطفل سلوك البحث عن الإهتمام يوجد أمامنا كوالدين ثلاثة بدائل:

١-**البديل الأول:** يمكننا أن نترك أى شئ في أيدينا ونلبي لهم رغباتهم ولعل هذا الأسلوب يسمح بقدر من السلام الوقتي ويجنبنا مشاعر الذنب لكوننا والدين غير مهتمين ولكنه لن يحل المشكلة!

٢-**البديل الثاني:** إهمال طلب الطفل تماماً وقد يجدي هذا الحل في تغيير سلوك الطفل ولكن المشكلة ماذا لو كان طلب الطفل أصيلاً وأن حاجته للمحبة فعلية أو أنه خائف أو مذعور.

وتكرار محاولة الطفل جذب الإهتمام تشير إلى شيئين:

أ- أن حاجة الطفل للمحبة لم تُوَفّ.

ب- أو أن الطفل يريد أن يتحكم لا شعورياً في من حوله.

٣-البديل الثالث: يعتمد على فكرة أن نتأكد أن حاجة الطفل قد تم إيفائها. وأننا نقضي معه وقتاً مناسباً. وعلينا أن نوصل له بعد تأكدنا من أنه يفهم اهتمامنا ومحبتنا بأن الأب والأم لديهما أعمال للقيام بها. وأن الطفل يمكنه أن يلعب بما لديه من لعب أثناء انشغال والديه. وهكذا فإننا نوفي حاجة الطفل الأصيلة للمحبة ولكننا في نفس الوقت نرفض المسلك الخاطئ للتحكم.

ثالثاً: الحاجة للإحساس بالقيمة:

الإحساس بالجدارة والكمال

الإحساس بالجدارة هو الحكم بأن الطفل جيد.. ولمقابلة هذه الحاجة فإن أغلب الأطفال تكتسب سلوكاً إيجابياً لمقابلة استحسان الوالدين. ولكن حذار! ! فإننا كثيراً ما نخطئ تجاه أولادنا دون أن ندرى ونحن نتعامل معهم لتسديد هذه الحاجة لديهم. فإن الكثيرين منا يخبرون أولادهم أن الله ووالديهم لا يحبونهم عندما يكونوا أولاد غير صالحين. وهكذا نعلمهم أنهم لا يستحقون المحبة عندما يتصرفون بطريقة معينة وكم تحمل هذه الطريقة رغم كثرة إستخدماتها من تزييف للحق.

ذلك أن لب رسالة الإنجيل أن الرب قد أحبنا كما نحن لكننا نريدهم أن يكونوا صالحين حتى يتلقوا هذا الحب. وعندما يفشلون كأطفال ينمو داخلهم إحساسٌ بعدم الجدارة التي تسبب لهم مشاكل عاطفية عديدة. ويتداخل لدى بعض الأطفال الإحساس بعدم الجدارة أو الكفاءة والكمال الشخصى وذلك

لاعتقاد بعض الأطفال أن أى تصرف غير سليم (غير كامل) يضرهم وذلك بسبب توقعات والديهم الغير واقعية.

إنهم يحاولون أن يتفوقوا وأن يكون أدائهم ممتازاً وخوفهم من الإدانة يجعلهم مدفوعين لأن يبدوا كما لو كانوا ملائكة. ورغم أن مثل هذه الدوافع قد تنتج سلوكاً مطلوباً إلا أنه يكون على حساب أشياء كثيرة هامة.

إن الطفل من حقه أن يدرك أنه جدير بالثقة والكفاءة والمحبة لمجرد كونه طفلاً!!

وهكذا فإنني أستطيع أن أُلَخِّصَ أهداف وسلوك الطفل في الآتي:

الحصول على: ١- المحبة ٢- الثقة ٣- الجدارة

٤- الاهتمام ٥- القوة ٦- الكمال

ومشاعر المحبة والثقة والجدارة هى مشاعر بناءة إيجابية وعندما لا يجد الطفل هذه المشاعر البناءة فإنه من السهل عليه أن يطلب البديل أى المشاعر السلبية التي هى البحث عن الإهتمام - القوة - الكمال.

وعندما لا توفى حاجة الطفل الأصيلة للمحبة والثقة والقيمة فإن بعض التفاعلات السلبية قد تظهر في سلوكه كأن يغضب مثلاً أو ينتقم أو أن ينشغل بالبحث عن سلامهِ النفسي.

وعادة عندما يفشل أطفالنا في أن يكونوا عند مستوى توقعاتنا كوالدين فمن السهل أن يصابوا بخيبة الأمل والغضب وأحد أساليب الإنتقام والغضب من جانب الطفل هو أن يصبح طفل "وحِش" نظراً لتوقعات والديه فيه.

السبيل الآخر الذي يسلكه الطفل عند الفشل في إشباع حاجاته للمحبة والثقة والجدارة هو استخدام الأساليب الدفاعية لإحداث الأمان النفسي.

معركة القوة:

إن كل صدام يحدث بين الأب والابن لابد أن يشمل صراع للقوة. ويكون منطق الطفل في هذه الحالة "سأريك من يغلب!" ويقبل الوالدين التحدي دون إدراك للنتائج أنهم يريدون إثبات سلطانهم للطفل وكلنا لا ينسى عناد الطفل وهو ينفذ أمراً ما فإن هذا العناد يزود الطفل بإحساس بالقوة ورفض التعاون مع والديه.

والسؤال الذي يجب ألا يغيب عن أذهاننا... ترى هل نفهم نحن الوالدين هذه اللعبة؟ أم ننجرف أمام هذا التحدي؟

إن رد الفعل الطبيعي لأغلبنا هو أن نرد القوة بالقوة. وحيث أننا الأكبر والأقوى فإننا نفترض بأنه يمكننا مواجهة هجوم الصغار وفي نفس الوقت الإحتفاظ بسلطاننا عليهم. وإن عصى الطفل يمكننا أن نضربه ليخضع وإن فشل في أداء ما، يمكننا أن نعاقبه. والواضح أن معركة القوة لن تحل العديد من المشاكل فالواضح أول كل شئ أن هذه المعركة لن تجدي شيئاً ذلك أن الطفل له أسلحته الخاصة. فمن المستحيل مثلاً إجبار الطفل ليأكل أو أن يحسن درجاته في المدرسة. إن عدم الأكل والتراخي في أداء المهام المدرسية هى إحدى وسائل الطفل لاكتساب القوة في مواجهة قوة والديه. إنه يعلم أن مثل هذه الأشياء سوف تضايقنا... وكلما قلقنا أكثر بشأنها كلما أحبها أكثر. وفي كل مرة يصرخ الأب أو

يعاقِب أو يضرب فإن الطفل يعتقد لاشعورياً أنه الفائز. إنها المقاومة السلبية التي يتسلح بها الطفل برفضه للأكل أو عدم تحسين درجاته أو عدم الإمتثال لأمر ما، لإظهار أنه ليس من السهل التحكم فيه وحتى عندما نضغط عليه للتصرف الصحيح فإنه يضغط علينا حتى يوصلنا إلى مرحلة الغضب وهذا هو الإنتصار بالنسبة له.

المشكلة الثانية في معركة القوة هي طبيعتها المتحكمة. قد يسأل الطفل لماذا يجب أن أعمل ذلك الشئ؟ وتكون الإجابة "لأني قلت كده!" وعندما تصيح "لأني قلت كده" هى الهدف فلن يتعلم الطفل شيئاً قد يتعلم الطاعة ولكنه لن يتعلم ضبط النفس.

وليس معنى ذلك ألا نمارس دورنا كآباء في حياة أولادنا فإن الرب قد حمّلنا هذه المسئولية ومن الواضح أيضاً أننا يجب أن نتدخل لا سيما عندما يهدد الخطر حياة أولادنا. وقد يغضب أطفالنا لهذا التدخل ولكن هذا يتوقف على هدوئنا ونحن نمارس دورنا. فبهذا الإتجاه الهادى يمكننا أن نمارس دورنا بطريقة بنّاءة.

وتظهر المشكلة عادة عندما نمارس دورنا كآباء في الوقت المناسب ولكن بطريقة خاطئة. وقد نظن أننا نعمل الصالح لأجل مصلحة أولادنا في الوقت الذي نستعرض فيه قوتنا أو نُنَفّس فيه عن غضبنا! من المستحيل أن نُعَلّم أولادنا طالما أننا أُستدرجنا للدخول في معركة للقوة أو الصراع. فطالما أننا في حالة من الغضب والتوتر فإن أطفالنا يقرأون ما يجول بداخلنا. إننا كتاب مفتوح أمامهم. إن مجرد نبرة الصوت تشير إلى حالة الصراع التي تعترينا. وقد نردد أننا لسنا في

حالة غضب ولكن صوتنا يكشف العكس.

طفلك والأسرار:

لا مراء في أن الطفل حتى يوم ميلاده يعد جزءاً من أمه إلا أنه بعد مولده ورغم قطع الحبل السرى يظل مدة طويلة مرتبطاً بها تماماً. فهو لم يعد مستقلاً بل مازال طفلها الذي يعتمد عليها كلياً أو جزئياً. وعندما يتكلم نراه في حاجة إلى أن يخبرها بكل شئ حتى أدق أسراره. وتمر الأيام ويكبر الطفل ويذهب إلى المدرسة بمفرده. هنا عليه أن يستقل بأموره شيئاً فشيئاً عن أمه وعن أبيه أيضاً لكي تصبح له شخصيته المستقلة وهنا تصبح أسراره ركائز هذا الإستقلال. ولن يشعر بكيانه ما لم تكن له أسراره الخاصة التي لا يطلع أحد عليها حتى أبواه ولن يشعر بشخصيته المستقلة عنهما ما لم تكن له أسراره الخاصة التي لا يعرفان عنها شيئاً. عندها فقط يشعر بتميزه عنهما وبأنه شخصية لها كيانها الخاص.

وقد يشعر الطفل بالحاجة أن يكون لديه سره الخاص فهو ليس مجرد إبن فحسب بل بدأ يحس أن له شخصيته المستقلة. ورغم أن الأم قد توجه للطفل كل ما يحلو لها من أسئلة دون أن ترى في ذلك تدخلاً في شئونه بل ترى أن هذه الأسئلة دلالة عن حبها الذي يدعو للقلق على الطفل والإهتمام به إلا أن الطفل قد يستاء من هذه الأسئلة ويعتبرها تدخلاً في خصوصياته، ويحاول أن يقف ضد هذا التدخل ويقاوم كل شعور فطرى لديه بأن يُفْضِى لأمه بكل شئ ويصيح لسان حاله "من الآن فصاعداً سوف أهرب من هيمنة أمى" تلك هى

الوسيلة الوحيدة التي تمكنني من الإحتفاظ بسرى. إن الطفل بذلك يصنع اللبنة الأولى في بنية الإستقلال والفردية.

وليس ثمة شك في أن الطفل- كما البالغ أيضاً – يتكلم إلى نفسه باستمرار ويُحدِّث نفسه بكل أسراره. وهذا ما يعطيه شعوراً بذاتيته مع نفسه وحدها.

ومعظم ألعاب الأطفال تحتوى على هذه النكهة من السرية والتكتم. فعندما يقلب الطفل كرسياً رأساً على عقب ويزعم أنه سفينة فإنه في الواقع يصيره سفينة كما أن ميناء الإسكندرية أو بور سعيد هو ذلك الجانب من الحجرة الذى يتجه إليه ليرسو فيه. والسعادة في اللعب تعتمد في جانب منها على هذا الخيال. فبالنسبة لأى شخص آخر هذا الكرسى ما هو إلا مجرد كرسى وكذلك الحال بالنسبة لهذا الجانب من الحجرة. في حين أن هذا الكرسي بعينه هو بالنسبة للطفل سفينة وذاك الجانب من الحجرة هو الميناء. هذا هو سره. وياله من تغيير فجائى يحدث بالنسبة للطفل عندما يدرك إنه يعرف شيئاً ما. وإن هذا الشئ لا يعرفه بالطبع أحدُ سواه حتى والده ووالدته. أى أنهما لا يعرفان كل شئ. هذا يُولِّد في الطفل شعوراً بالقوة وهو أمر جديد عليه تماماً فهو يدرك بأنه يمتلك شيئاً من حقه الخاص لا ينازعه فيه أحد.

وحتى ذلك الحين فإن كل ما حصل عليه كان من والديه أو على الأقل بموافقتهما أما شخصيته الحقيقية فإنما تتحقق عن طريق حصوله على شئ ما دون علمهما.

والسرية غالباً ما تتولد نتيجة خوف الطفل من سخرية الكبار منه

ومـن أعمالـه ثـم إنه يخشى أن يواجهوه بالقول: هذا هو حالك دائماً. تبدأ عملاً ولكنك لا تتمه أبداً.وعندما يصل إلى سن معينة تراه بحاجة إلى السرية. وكلما كبر زادت حاجته إلى ذلك.

ولذلـك فـإن آلاف الأشـياء الـتافهة البسـيطة التي قام بتجميعها في طفولـته والـتي مازال متمسكاً بحبه الشديد لها تجده ينظر إليها على أنها تمثل عالمـه الخـاص وإن كـان لا يـبوح بذلـك لأحـد. إنهـا عالمه الخاص. ملكه حقاً. وإحساسـه بـالقوة مرتـبط دائمـاً بالإحـتفاظ بالسر ومـع الأسـف فـإن العديد من الأمهـات قـد لا تـتفهم ارتباط الطفل بمثل هذه الأشياء التافهة من وجه نظرها، وقـد تبددها بدعوى أنها تزحم المكان أو أنها من المهملات غير مدركة بذلك أنها تحطم جزءاً من مملكة الطفل الخاصة.

وعـندما يـأتي صـديق للطفـل ويقـول له بمكـر: إنني أعرف سراً لا تعـرفه أنـت. بـيد أني لن أخبرك به، تراه لا يكف عن محاولة انتزاع هذا السر بكـل الحـيل والوسائل تارة بالتخويف وتارة بالوعد وتارة بالرجاء وتارة بالتهديد وقـد يـلجأ إلى الـتحايل والخديعة يجرب وسيلة ثم أخرى. وقد يحاول أن يقدم لصـديقه إحـدى لعـبه مقـابل أن يفشـى له هـذا السـر أما صديقه فيشعر بالفخر لمقاومـته كـل هـذه المحاولات كما أنه يشعر بمدى تفوقه على صديقه حتى وإن أخبره بسره. وربما يختلق في حالة الضرورة سراً يبرر به كل هذا الكتمان.

وربمـا يطلـع الطفل إخوته وأخواته على الهدايا التي أعدها لوالديه سـراً وهـذا مـا يولـد صلة عاطفية بين الأطفال الذين يعرفون نفس السر. ويتفقون عـلى أن يحفظـوه مـن أى شخص آخر. والمتعة العظيمة التي يجدها الأطفال في

السرية والكتمان ترجع إلى أنها تتيح لهم ـ حتى وهم على مائدة الطعام ـ تبادل النظرات والتلميحات التي لا يعرف الكبار مغزاها ومعناها وهم يعتبرون هذا انتقاماً من الكبار الذين يستبدون بهم. ألا يدّعون أنهم لا يجهلون أمراً وأن العصفورة تخبرهم بكل شئ؟ ألا يتكلمون فيما بينهم بلغة غريبة حتى لا يعرف الأطفال عما يتحدثون؟

وسرعان ما يدرك الطفل أن للكبار أيضاً أسرارهم وخاصة ما يتعلق فيها بالناحية العاطفية. مثل هذه الأمور لا يتحدث عنها الكبار في وجوده. وإذا سأل الطفل عن معنى ذلك يجيباه: أنهما سيشرحان ذلك له عندما يكبر مما يؤدى إلى زيادة حب الإستطلاع عند الطفل. والطفل شديد الحساسية بالنسبة للأمور التي تخفى عنه. لماذا يطلب منه والده الذهاب إلى مدارس الأحد بينما هو نفسه لم يذهب أبداً للكنيسة؟ لابد أن ثمّة سراً. لماذا لا يحب والده رؤية الأستاذ فلان رغم أنه لطيف جداً؟ لابد أن ثمّة سراً.

وثمّة علاقة متبادلة بين السرية والعاطفة. السرية تضفي قيمة على الأمور. إن السر المشترك كالملاط يعمل على التماسك الداخلي لأى تكوين اجتماعي فإن كنت خارج بلدى وقابلت أحد مواطني فلا داعي لأن أبرز له جواز سفرى لكي أبرهن له على أنني أنتمي إلى نفس البلدة ما عليَّ إلا أن أُذكِّره ببعض العبارات التي كنا نتبادلها في لعبنا فترة الطفولة. على أن معظم الآباء يغضبون إذا لاحظوا أن أولادهم يخفون عنهم أمراً غير مدركين أهمية ذلك بالنسبة للطفل حتى يصبح ذا شخصية متميزة. إنهم يفهمون أن أطفالهم بدأوا يفلتون منهم وإن غضبهم أمر طبيعي تجاه الرابطة التي انكسرت في علاقتهم بأطفالهم. كانوا

يحبون أن يطيلوا فترة المشاركة الصريحة الرائعة التي كانت تربطهم دون تحفظات بأطفالهم في بداية حياتهم.

وقد يتحول بعض الوالدين إلى بوليس سرى فيخرجون إلى الشارع ويختبئون في أحد المداخل ليراقبوا أولادهم ليروا أى أصدقاء يرافقونهم عند عودتهم من المدرسة. ماذا يفعلون في الطريق. إلا أنه ما أن يكبر الأولاد وتزداد المراقبة فإن هذا يؤدى إلى عواقب وخيمة.

وحتى لا يصل الأمر إلى هذا الحد. فإن الكثيرين من الآباء يحثون أولادهم على أن يستمروا في إخبارهم بكل شئ كما كانوا يفعلون وهم صغار.

وهناك طريقان من المحتمل أن يسلكهما الأطفال كرد فعل على ممارسة الآباء لمثل هذه الضغوط . فإما أن يبعد الأبناء أكثر فأكثر من الآباء وإما أن يخفوا عنهم المزيد من الأمور. بل قد يعيش الأبناء حياتهم بالكامل دون مشاركة أو معرفة الآباء فيعتزلون عنهم أو يتجنبونهم وقد يكرهونهم. أما الآباء فإنهم سيقومون بتوبيخ أبنائهم بطريقة قاسية. وبمرور الوقت يتطور الأمر إلى صراع صريح دون أن يدرك الآباء أنهم السبب في هذه المحنة. وقد يكون رد الفعل ضعيفاً فيستسلم الأبناء لاعتقادهم أنه يتعين عليهم أن يخبروا والديهم دائماً بكل شئ بحيث لا يرى الإبن سوى الأصدقاء الذين يفضلهم والداه فقط وأن يعمل ما يرونه هم فحسب. مثل هذا الطفل عُرْضَة لأن يصبح مريضاً وسيبقى محتفظاً بالصفات الطفولية مثل الجبن والتردد حتى عندما يكبر.

إن الآباء الذين يحرمون أولادهم الكبار من أن يعيشوا حياتهم الخاصة إنما يمنعوهم من أن يصبحوا مستقلين. واحترامك سرية شخص ما حتى

وإن كان إبنك معناه أنك تحترم استقلاليته.

وقد يرحب الطفل في مرحلة الصغر ببعض الأسئلة من والديه كتعبير المحبة والإهتمام وفجأة يستاء الابن من مثل هذه الأسئلة ويعتبرها تطفلاً وتدخلاً في شئونه الخاصة. ولذا فإنه لم يعد يجيب عنها إلا بهز كتفه دون مبالاة.

الشئ الذي نريد أن نركز عليه. أنه علينا كوالدين أن نحترم نظرة الطفل إلى أسراره وخصوصياته. إنها إحدى مراحل نضجه أن يصبح مستقلاً. وعندما يمر أولادنا في مرحلة معينة بمشاعر الخجل من ارتداء ملابسهم أمامنا كسابق عهدهم أو الخجل من رؤية والديه له أثناء استحمامه. فلابد أن نحترم ذلك ولا نوبخهم. إنه عالمهم.. أسرارهم.. حياتهم.. خطواتهم على طريق المسئولية.

الفصل الرابع
التقدير الإنساني لقيمة الطفل

الجمال التاج الذهبي للتقدير الإنساني

يضع المجتمع الجمال كتاج ذهبي للتقدير الإنساني وكلنا ندرك أن الطفل الجميل يُقدر بطريقة مختلفة عن الطفل الغير جذاب.

ولعل قيمة الطفل عندما يولد تتوقف إلى حد كبير على فحص الوالدين لجسده. وليس بمستغرب صدمة العديد من الأمهات عقب الولادة مباشرة. فبالرغم من إدراك الأم أن أغلب الأطفال حديثي الولادة لا تتضح معالم وجوههم بعد لكنها لم تكن تتوقع أن يكون الحال معها بهذه الطريقة. فقد كانت تتوقع طفلاً جميلاً مثل الذي تراه على علبة اللبن. ولكنها بعد برهة قصيرة تشعر الأم أن هذا الوجه هو الشئ الوحيد الذي يمكن أن تحبه...!

والحقيقة هى أننا نحن الناضجين نستجيب بطريقة مختلفة للطفل الجميل عن الطفل الأقل حظاً في الجمال. وهذه الإستجابة لها تأثير بالغ على شخصية الطفل. إن الطفل الجميل له فرصة أكبر ليرى العالم من حوله وردياً على عكس الطفل الأقل وَسامة.

ولعل الأغلبية منا كوالدين ندرك رد الفعل الذي يمكن أن يجنيه الطفل الجميل عندما تتلقفه الأيدى ويأخذه الكبار في ما بين أيديهم ويحيطونه

بالدفء والمحبة. إن هذا الإهتمام الذي يقابل به الطفل طبيعي لم يدفع له الطفل مقابل. على عكس البرود، التظاهر، وربما اللفظ والإهمال للطفل القبيح المنظر.

كم هو غير عادل ذلك النظام الذي توج الجمال كتاج على أساسه يكافئ طفلاً لم يصنع شيئاً ليكسب هذا التقدير بينما يَحرِم طفلاً آخر من هذا التقدير لم يصنع هو أيضاً شيئاً. إن الطفل الجميل سيدرك منذ اللحظات الأولى لولادته بأنه طفل محظوظ. وسيدرك أيضاً أهمية أن تكون جميلاً.. وسيماً.

في حادثة في شيكاغو اغتيل فيها ثمانية من الممرضات كان التعليق في صحف اليوم التالي:

"إنه مما يزيد الأمر قسوة أن الثمانية كن من الجميلات" أى بعبارة أخرى أنهن كن أكثر قيمة من غيرهن. ولعل هذه القيمة المعوجة للمجتمع لا يمكن أن تكون بعيدة عن أذن طفلي وطفلك. فالطفل يدرك أن المسابقات تقام لاختيار أجمل فتاة وليس أقبحها. بل إن قصص التراث التي نرويها لأطفالنا كثيراً ما تحمل في ثناياها نفس المنطق دون أن ندرى، مثل قصة الأميرة الجميلة والسبعة أقزام أو السندريلا وغيرها من القصص التي تُمَجّد الجمال.

وأغلب الأطفال يستطيعوا أن يجددوا قيمة مظهرهم منذ مرحلة مبكرة في الحضانة مثلاً. إن طفلاً في الخامسة من عمره يستطيع أن يدرك أنه دميم مثلاً ولو قدر لطفل أن يولد معوقاً فمن السهل جداً أن يدرك هذه الإعاقة من تعبيرات أقرانه عن أنه طفل غير طبيعي لمجرد أنّ مظهره مختلف. إن الحياة يمكن أن تكون صعبة للطفل السمين مثلاً أو الأحول أو الأعرج. الطفل المختلف... !

واستجابة الطفل عاطفياً تتم وفقاً لأضعف نقطة في السلسلة وهى أنه كـان يمكـن أن يكـون كـاملاً جسـدياً مـاعدا ذلك المظهر الذي يخص الإعاقة في حـياته. إنـه مسـتعد لأن يدخـل معـركة يدافع فيها عن شرفه عندما يطلق عليه رفقائه "إسماً" يراه هو عيباً.

والأطفـال عادة يدركون قبحهم وسط أقرانهم فمثلاً عند اختيار الألفة في الفصـل أو كابتن الفريق فإن المُستبعد من الإختيار يدرك قيمته وسط أقرانه. في تجـربة أجـراها عـلماء الـنفس تسـمى Sociogram بهدف تحديد المكانة الإجتماعـية بـين الأطفـال. سُئِل كل طفل أن يكتب ثلاثة أسماء لأطفال معه في الفصـل يحـب أن يجلس بجانبهم وأن يكتب ثلاثة أسماء أخرى لمن لا يريد أن يجلـس معهـم. وبعـد تفـريغ الـنـتائج يستطيع المدرس بكل سهولة معرفة من هم نجوم الفصل ومن هم الملفوظين.

والمفـروض أن المدرس النابه هو الذي يقف وراء الملفوظين ويساعدهم حـتى يسـتعيدوا توازنهـم ولكـن مع الآسف فإن أغلب المدرسين... أعنى أغلب الكبار يستجيبون وفقاً لمقاييس المجتمع التي تحدد قيمة الطفل.

في بحث أجرى لتحديد تأثير الجمال كقيمة على الأطفال وجدت النتائج التالية:

(١) الدرجات العلمية تتأثر إلى حد ما بجاذبية الطفل.

(٢) عندما أجريت تجربة مع الكبار بإعطائهم مجموعة من صور الأطفال ثم طُلـب إلـيهم أن يمـيزوا الأطفـال المشاغبين في الفصل من فحص الصور. للأسـف

الأغلبية العظمى اختارت الأطفال الأقل حظاً من الجمال...!

(٣) إن تَعامُل المدرسين مع أخطاء التلاميذ تختلف باختلاف حظهم من الجمال.

(٤) إن الأطفال الأقل حظاً من الجمال أقل انطلاقاً في عمر الحضانة.

يالها من مشكلة تلك التي تقابل الأطفال الغير محظوظين. إنه لا يستطيع أن يلوم أحد ما. لا يستطيع أن يغير شيئاً ما. لا يستطيع أن يقدم اعتذار عن عدم قبول الناس له. ومن السهل أن يهمس في أذانه ذلك الصوت الداخلي. إنك مختلف. فأنت غبي أنهم يكرهونك. أنت فاشل. أنت بلا قيمة. ويمكن لذلك الصوت أن يكبر مع الطفل حتى يعوق حياته.

الجمال ومرحلة المراهقة:

إن كان الجمال يعتبر شيئاً مهماً بالنسبة لمرحلة الطفولة فإنه يصبح أكثر أهمية في مرحلة المراهقة. وخلال هذه المرحلة التي تتسم بالإنشغال بالتغيرات الجنسية يأخذ الجمال قيمة أكثر من أى قيمة أو مبدأ. إن الفتاة الجذابة الجميلة والفتى الوسيم يصبح العالم أكثر إشراقاً أمامهم والبقية الباقية التي تمثل الأغلبية تقضى أوقاتاً طويلة أمام المرآة ومعها شعور بعدم الرضى. والمراهق يستطيع بسهولة أن يدرك قيمة الجمال وفقاً لمقاييس العالم من الأغاني التي يسمعها والتي تمجد الجمال. بل لعله يكون حساساً جداً عندما تختبر قيمته وسط أقرانه على أساس الجمال ويساوره شعور بالحنق على عدم عدالة المجتمع وقد ينزوى يجتر الذكريات المؤلمة التي تعرض فيها لمثل هذه المواقف.

بل إن الأحلام في مرحلة المراهقة كثيراً ما ترتبط برؤية المراهق لنفسه على أنه الأجمل. الوسيم. الأكثر أناقة. إنه الجمال أحد موازين العالم للتقدير الإنساني.

الجمال والكبار:

البعض يبحث عن السمرة عند أى تكلفة. ويعلق البالغون آمال عظيمة على مظهرهم مثلما يعلق المراهقون على المظهر. وكم من المرات اكتشفنا أمام المرآة علامات في وجوهنا تشير إلى تقدم الأيام بنا وتغير لون شعرنا ولذا فليس من العجيب أن نسمع عن زيادة عمليات التجميل وشد الجلد التي تجرى في أيامنا هذه في محاولة منا نحن الكبار أن نعيد عجلة الزمن للوراء.

في إحصائية أجريت مع العديد من السيدات العاملات في أمريكا وجد أن نصف العينة من السيدات العاملات يتوقعن زيادة في الراتب في الشهور التي تعقب جراحات التجميل. ولعلنا كلنا ككبار ندرك مدى ارتباط الجمال والجاذبية والوسامة بفرص العمل المتاحة فأغلب المديرين يفضلون السكرتيرات الجميلات والبائع الأقل وسامة أقل نجاحاً ومنافسة. إن البالغين ليسوا بمعصومين من تأثير الجمال عليهم بالرغم من إدراكهم...!

لقد بزغ الجمال كقيمة عندما بدأت الأخلاقيات في الاضمحلال وكنتيجة أو رد فعل لما نسميه ثوره الجنس.

والمتابع لوسائل الإعلام ـ الأغاني العاطفية بنوع خاص ـ يجد أن هذه الأغاني في مجموعها تمجد الجمال الأخّاذ والمظهر الجذاب والقوام المشوق

والعينين الزرقاوتين والشعر المجنون وهكذا تقدم للأذن لا سيما عندما يلتقطها الصغار صورة لما يمجده المجتمع وما يلهث وراءه وما يقدره أكثر من أى شئ آخر. بل إن الإعلانات التي تملأ الجرائد طلباً للوظائف تشترط في العديد منها "حسن المظهر" أو بعبارة أخرى "الجمال" حتى يضمن صاحب الشركة رواج بضاعته وتسهيل مهمته وسرعة إنجازها.

ويستغل خبراء الإعلان هذه الحقيقة فيحاولوا الربط بين الجنس والجمال وهكذا يطالبنا التليفزيون كل يوم بمثل هذه الأفكار فالرجل الوسيم يرتدى كذا وكذا والجميلات يستعملن المسحوق الفلانى ويختار مصمموا هذه الإعلانات نوعيات من العارضين اختيرت بعناية حتى يكون وقع الإعلان كبيراً على المتلقى ومن ثم يدفعونه إلى المزيد من الشراء والإستهلاك ابتغاء من المشاهد أن يصير ذا شكل جذاب عندما يستخدم هذه السلعة. أو أن يكون ضمن الصفوة أو النخبة باختياره هذا المنتج أو ذلك.

إنه الجمال هو التاج الذهبي للتقدير الإنساني.

الذكاء: التاج الفضي للتقدير الإنساني:

عندما تحين لحظة ولادة الطفل فإن والِدَيه يصليان أن يكون هذا الطفل طبيعياً أى طفل مثل باقي الأطفال ولكن منذ لحظة الولادة فصاعداً فإن هذا الطفل الطبيعي لم يعد كافياً.

فبعد فحص الوالدين لعيون الطفل وأذنيه وكل ما يتعلق بتشوهاته فإن أغلب الوالدين (المبتدئين منهم) يبحثون عن علامات النبوغ ويظلوا متابعين

نمو الطفل الذى يتم بصورة سريعة في العام الأول للطفل ويلاحظونه وهو ينطق بلفظ ماما أو بابا مثل أقرانه أو عندما يستطيع أن ينتصب أو يحمل رأسه على كتفيه ويتابعوا عدد الإبتسامات التي يبتسمها. وما لا يعلمه الوالدِان أن هذه اليقظة الذهنية للطفل متأرجحة فكل يوم يبدو أنه تعلم شيئاً جديد أو نسى شيئاً تعلّمَه.

وبعد فترة يتعلم الطفل تلك الكلمة المرعبة للكبار عندما يردد كلمة "لا" ويتقنها أكثر من غيرها. إنه يريد أسلوبه في كل ما يعمل ويشعر الوالدان بالألم من إصرار الطفل ولكن في داخلهم شعور بالزهو والفخر لأن طفلهم يخطو نحو عدم الإعتماد عليهم وعندما يصل الطفل لما بين عامه الثالث والخامس فإنه يبدو أنه أقل ملاحظة عما سبق ويشعر الوالِدان إن نابغتهم تثار حوله الشكوك. رغم أنه في الواقع يقول أن أغلب تصرفاته طبيعية. فقد يجلب الضوضاء حوله أو تشوب تصرفاته ملامح الطفولية فقد يلعب أكثر مما يعمل أو يدرس وأخيراً يخطو أول خطواته في الحضانة التي تمثل أول خبرة في حياة الطفل والوالدين. فلو رفض الطفل المشاركة أو التعلم سيعانى الوالدين من الشعور بالذنب نتيجة تقصيرهم في تعليمه. وقد يُصاب الوالِدان بحالة من زيادة أو نقصان التقدير تجاه قدرات الطفل الذهنية مما يجعلهم حساسين جداً لكل ما يتعلق بذكائه.

وعندما يفقد الطفل إحدى هاتين الصفتين الجمال والذكاء فإن الوالدين يصابان بخيبة الأمل والشعور بالذنب لإنجابهما طفل به كل هذه النقائص التي لا يقبلونها في أنفسهم ذلك أن الوالدين منذ لحظة ولادة الطفل يتوقعان أن هذا الطفل لابد أن يتفوق وأن يكون الأول على أقرانه وأن يُدهِش

مدرسيه من لباقته وحكمته.

تقول مارثا وينمان Martha Weinman مؤلفة كتاب "عبادة الطفل":

إن الوالدين المتوسطى الحالة يتنافسوا معاً لارتداء الطفل أفضل زى، وأفضل أكل، وأفضل تعليم، وأفضل علاج وأفضل وسط وتصبح آمال وأحلام وطموحات عائلة بأكملها موضوعة على أكتاف طفل صغير غير ناضج...!

إن الأغلبية العظمى من أطفالنا أطفال عاديين متوسطى القدرات إنهم مجرد أطفال لديهم احتياج المحبة والقبول كما هم. إنهم نتاج آباء وأمهات عاديين لكنهم ينتظروا جيلاً سوبر...!

تيجان نحاسيه وبرونزيه للتقدير الإنساني:

إلى جانب التاج الذهبي والفضي أعنى الجمال والذكاء ومدى تأثيرهما في تشكيل نظرة الطفل وتقديره لنفسه توجد بعض العوامل الأخرى وإن كانت تأخذ درجات أقل من ناحية التقدير التي من أمثلتها:-

المصاعب المادية:

قد يعانى الطفل الذي ينشأ في وسط فقير من متاعب من جهة نظرته لنفسه والفقر ليس هو سبب الألم الأول بقدر ما تكون المقارنة بين مظهر الطفل وأقرانه ولعلك توافقني في أن تقييم المجتمع لمراهق يستخدم دراجة في الذهاب لمدرسته يختلف عن زميل له يستخدم مرسيدس في الذهاب للمدرسة.

تأثير الوالدين:

من السهل جداً على الوالدين أن يحطموا فكرة الطفل عن نفسه. يكفي جرعة صغيرة متكررة لعبارة تردد على ذهن الطفل أنه غبي. أو كسول بليد أو...إلخ.

وبالمثل أيضاً فإن الأُسَرْ التي تسود فيها الخلافات والشجار بين الوالدين كثيراً ما ينعكس هذا على الطفل دون أن يدرى الكبار.

يالها من مشكلة تلك التي نشعر بها كوالدين أو مدرسين تجاه أطفالنا كيف نستطيع أن نحميهم من قوى المجتمع حولنا؟ هل هناك أسلوب نستطيع به تصحيح فكرة الطفل عن نفسه وإحساسه بقيمته بغض النظر عن شكل أنفه أو حجم أذنيه!؟

إنها قيمة الإنسان التي قصدها الرب عندما خلقنا على شبهه. ولعل نظرة الرب للشكل والمظهر تبدو جلياً في حادثة تمت منذ ٣٠٠٠ سنة عندما كان صموئيل يبحث عن ملك لإسرائيل. واختار صموئيل بالطبيعة أطول وأجمل إنسان في حين أن الرب أخبره أنه الإختيار الخاطئ.(١صم١٦ : ٧) "فقال الرب لصموئيل لا تنظر إلى منظره وطول قامته لأني قد رفضته لأنه ليس كما ينظر الإنسان لأن الإنسان ينظر إلى العينين وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب".

الفصل الخامس

ثلاثيات I

بعد أن استعرضنا في الفصول السابقة. نظرة الآباء للطفولة، وميلاد فكرة النفس وما يصاحبها من أحاسيس، وما يتعلق بطبيعة الطفولة. وتلك القوى التي تحكم قبضتها على التقدير الإنساني لقيمة الطفل. جدير بنا قبل أن نخطو خطوات نحو أفضل الأساليب لتشكيل سلوك الطفل، دون تشويه فكرته عن نفسه. جدير بنا أن نتعرف على العديد من الحقائق المرتبطة جيداً بتلك الأساليب والمشاعر. قصدت أن أضعها في ثلاثيات:

الثلاثية الأولى: ثلاثة حقائق

الثلاثية الثانية: ثلاثة أفعال

الثلاثية الثالثة: ثلاثة مشاعر

الثلاثية I : ثلاثة حقائق

الحقيقة الأولى: وبائية النقص

وُلِدَ ولديه كل المعوقات. أمّه أمرأة متسلطة من الصعب أن تحب إنساناً ما. تزوجت ثلاثة مرات. زوجها الثاني طلقها لأنها كانت تضربه، زوجها الثالث والد الطفل توفى قبل مولد الطفل بشهور. لذا عملت الأم منذ

مرحلة الطفولة المبكرة. لم تعط طفلها اهتمام أو تدريب، كانت تمنعه من الإتصال بها في العمل. شَبّ وحيداً منطوياً لديه إحساس بأنه ملفوظ من الجميع.

وفي مرحلة المراهقة، لم يستطيع أن يكسب إعجاب الفتيات، أو قبول الفتيان. وبالرغم من ذكائه فشل دراسياً. فشل في الحصول على عمل. وهكذا وجد نفسه في العشرينات من عمره وحيداً بلا صديق بلا عمل بلا خبرة. وفكر في مغادرة المكان الموجود فيه لعله يترك مشاكله لكنه مع الأسف قُوبل باللفظ مرة أخرى. وحدث أن تزوج من فتاه لديها طفل غير شرعى أحضرته معها لأمريكا. ثم بدأت تمارس معه ما كان السواء الأعظم يمارسه معه من عدم احترام وتهكم وعدم تقدير وكانت تطالبه بالمزيد الذي لم يستطع أن يوفره، وبدلاً من أن تكون معيناً له. كانت زوجته مفشلاً لكل نجاح في حياته، ثم أخيراً أجبرته أن يغادر المنزل. حاول أن يرجوها أن يعود للمنزل وتنازل عن كرامته. وبالرغم من راتبه الضعيف فقد أحضر لها مبلغ ٧٨ دولار كهدية. وطلب منها أن تأخذها وتنفقها كيفما تريد. لكنها تهكمت عليه وعلى عدم مقدرته الإيفاء بحاجات الأسرة. وسخرت منه ومن قدرته الجنسية أمام مجموعة من الجيران. وفجأة تغير كل شئ. الكل لا يريده. شعر أنه أكثر إنسان ملفوظ على وجه الأرض. وأن كرامته غاصت في الوحل. وفي اليوم التالي كان إنساناً مختلفاً تماماً! فقد استيقظ من النوم وذهب إلى الجراج حيث كان يخفى بندقيته هناك، وأخذها إلى المبنى الذي كان يعتزم أن يلتحق بالعمل به، ومن شرفة في الطابق السادس في المبنى بعد ظهر يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ أرسل من هناك رصاصتين في رأس الرئيس جون كيندى. إنه لى هارفى أزولد ذلك الشاب الملفوظ الغير ناضج الفاشل قتل الرجل

الـذي هو ربما أفضل الناضجين.. أثراهم.. أوسمهم.. لقد أستغل المهارة الوحيدة الـتي كـان يتقـنها في التصويب. ورغم إن مشكلاته الشخصية ليست مبرراً لذلك السـلوك العدوانـي. ولكـنى قصـدت مـن سرد مثل هذه القصة محاولة لفهم تلك الصراعات التي كانت تدور داخله.

فمنذ طفولته التعيسة حتى لحظة اغتياله للرئيس كيندى. كان أزولد يعـانى مـن شـعور بغـيض بالـنقص كان يسحقه ويحطمه، ويحيطه. لقد تحول حزنه وألمه إلى غضب جارف.

وفي كـل مجـتمع يمكنـنا أن نـرى نفـس القصـة وإن اختلفت ردود الأفعال: في المدرسة، في الكنيسة، في النادى.

ولعـل هـذه المشـاعر – أعنى مشاعر النقص – تزداد أكثر في مرحلة المـراهقة، حيـث يتخبط الشباب في أحاسيسهم: من هم؟ ماذا يمثلون للمجتمع، للمنزل، للمدرسة، للكنيسة؟

والغالبـية العظمـى لمـثل هذا الشباب لن تفصح بما يدور في داخلها. إنهـا لا تـريد ببسـاطة أن تـتعرى أمامـنا. وحتى إن افصحت فنادراً ما تجد من يسـمع لهـا. ولذا فإن أغلب التمرد والعصيان وعدم الرضى في هذه المرحلة نتيجة لـتلك المشاعر مشاعر العجز والنقص التي نادراً ما تجد تعبيراً ظاهراً عنها. وإذا كانـت كـل الأعمـار تعانى من مشاعر النقص، فلابد لنا أن نتساءل لماذا؟ لماذا لا يسـتطيع أبنائـنا أن يتقبلوا أنفسهم كما هم؟ لماذا يشعر عدد كبير منهم أنهم غير محـبوبين غـير مقبولين؟ بيوتنا ومدارسنا بدلاً من أن تخرج أطفالاً أصحاء نفسياً

نجدهم مهزومين.

إن تفشـي ظاهـرة الإحسـاس بالعجـز والـنقص جـاءت نتيجة نظام التقيـيم الـذي يقدمـه المجتمع للإنسان. ليس كل إنسان جديراً بالثقة وليس كل إنسـان مقـبولاً بـل إن العكس صحيح فهناك مجموعة صغيرة جديرة بالإعجاب والقبول منذ ولادتها لأنها مزودة بشخصيات يُقيمها المجتمع بصورة أفضل.

ورغـم ادراكنا كناضجين أن الكل خُلق وله قيمة وأن الكل يجب أن يُعطَى الحق في الإحترام والتقدير. إلا أننا نشعر أنها معادلة صعبة لأننا نعيش في مجـتمع يقـيس بمقايـيس أخـرى مخالفـة لـما أدركـه وما أعتقده بل لعلها تكون أصـعب بالنسـبة لطفلـي الصـغير الـذي يرى كل يوم المجتمع ينظر إليه ويقيمه بطريقة معينة ويتطلب منه مؤهلات قد لا تكون موجودة لديه.

إن الحاجـة إلى الـتقدير حاجـة إلهية وضعها الله في قلب الإنسان. وعـندما لا توفـى فمـن السهل أن يفقد الإنسان اتزانه. إنها ليست حاجة كمالية بالنسبة للإنسان.

ذلـك الإحسـاس البغـيض– أعـنى الإحسـاس بالعجز والنقص– هو الذي يحطم إحساسي بالقيمة ويؤلمني أكثر من أى ألم جسدى. بل لعله يستهلك جهـازى العـاطفي بطـريقة أسـرع. ذلك أن جزءاً كبيراً من نشاط الإنسان مكرس لحمايته من ألم الشعور بالنقص.

وإذا كـان فرويد أشار قديماً بتأثير الجنس على السلوك الإنساني إلا أن الواقـع يقـرر أن محاولـة تجنـب الإحسـاس بالنقص قد تكون دافعاً أقوى في

الحياة.

ولـذا فلكـى نفهـم جـيداً معـنى السـلوك الإنساني في حياة طفلي.. أبـني.. صـديقي لابد أن نبدأ بكيفية تعامل الإنسان مع تقصيراته، مع إحساسه بالعجز، بالنقص...!

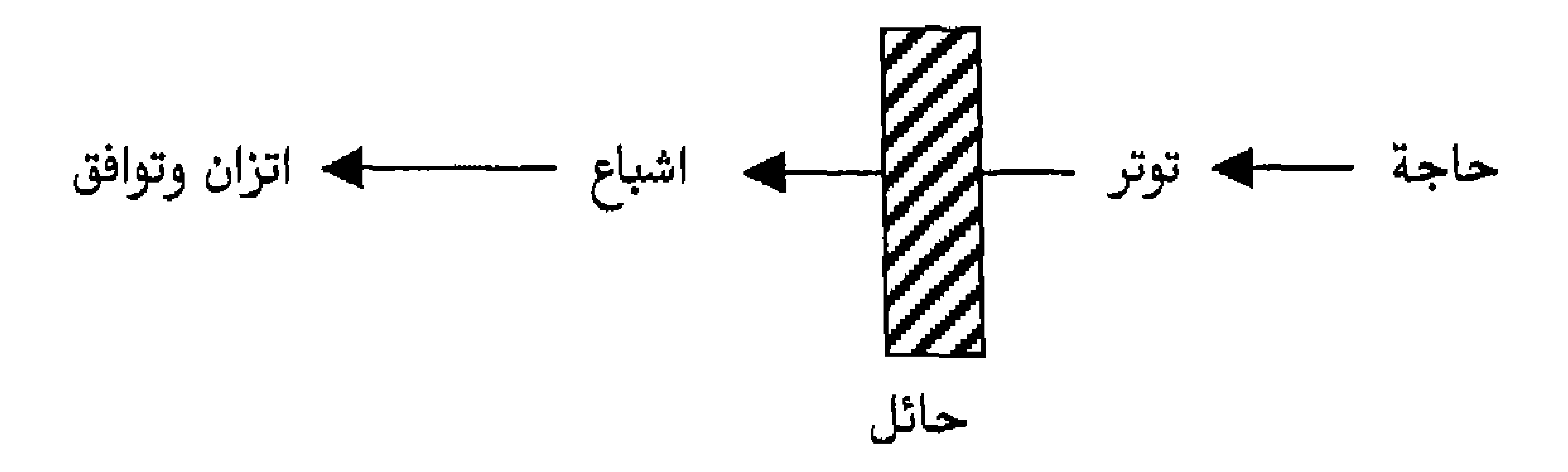
الحقيقة الثانية: التكيف مع الحياة:

تمـيل كـل الكائـنات الحـية لـتغير أنشـطتها وسلوكها، طبقاً لتغير الظـروف في البيـئة المحـيطة بهـا. فعـندما تـتغير ظروف البيئة، فلابد أن يُغير الكـائن مـن سـلوكه ويكتشـف طـرقاً جديـدة لسد احتياجاته وهذا ما يطلق عليه عملية التَكـيّفْ أو الـتوافق مـع البيـئة. وطالما استطاع الكائن هذا التكيف أمكنه الإستمرار في الحياة وإلا فقد حياته. ونعطى مثالاً بسيطاً على تكيف الحيوان إزاء احـتياجاته الفسـيولوجية. فالكلـب عـندما يجوع يشعر بالتوتر. ولكن هذا التوتر يـزول عـندما يجـد الطعام. أما إذا لم يجد الطعام فإنه يسعى لمحاولات مختلفة للـتوافق. فهـو يبحـث في الأمـاكن الـتي يجـد فـيها الطعـام عادة أو يقترب من الأشـخاص الذيـن تعودوا تقديم الطعام له. فإذا لم ينجح في الحصول على الطعام فإنـه يجـرى هـنا وهناك حتى يعثر على طعام يزيل توتره. والإنسان أيضاً عنده نفس دافـع الجوع. لذا فإنه عندما يشعر بالجوع، يحتاج لإشباع حاجته للطعام لتخفـيف الـتوتر. فيـبذل محـاولات للبحـث عـن الطعام داخل البيت وإلا فإنه يضطر لـلخروج ليجد طعاماً. أما التوافق مع البيئة الإجتماعية فإنه يتطلب ليس فقـط سـد الإحتـياج بـل لابـد مـن الـتوافق مـع سـلوك الأفـراد الآخرين حوله.

فالشخص الذي يريد أن يكون عضواً في جماعة ولكنه يحس بإهمال الجماعة له. يبذل مجهودات كثيرة لكي ينجح في كسب قبول الجماعة له.

وما ينطبق على الشخص البالغ ينطبق أيضاً على الطفل. فإن للطفل حاجات طبيعية إذ لم تُشْبَع شَعر الطفل بالتوتر وحاول إشباعها حتى يعود إليه التوازن المنشود. وليس الأمر يتعلق بالحاجات الجسدية فقط. لكنه ينطبق أيضاً على الحاجات النفسية فالطفل في حاجة أصيلة للمحبة الغير مشروطة وللإحساس بالأمان. والقبول والقيمة وهكذا فعندما لا تشبع مثل هذه الحاجة تخلق في الطفل نوعاً من التوتر. لاسيما إذا وجد حائل يحول دون إشباع تلك الحاجات الأصيلة له ولعل تصرف الطفل تجاه الحائل. وهو بالطبع تصرف لا شعورى يفسر في عديد من الحالات بعض مظاهر سلوك الطفل.

ولعل هذه الحقيقة توضح إلى حد بعيد. مسئوليتنا ككبار تجاه أطفالنا ، والإحساس بحاجاتهم ومحاولة إيفائها بالطرق الصحيحة حتى لا ينعكس هذا على سلوك مرفوض منهم.



وعندما يفشل الطفل في الوصول لهدفه لوجود حائل (قد يكون متمثلاً في الوالدين) فإن الطفل يمر بما يسمى عملية التكيف. التي أصطلح على تسميتها بالأساليب الدفاعية اللاشعورية Defense Mechanism وهي

نظام دفاع نفسي لا يكتسبه المرء بإرادته. لكنه نظام لا إرادى (لاشعورى) وسوف نتعرض لبعض الأساليب الدفاعية للطفل في فصل لاحق.

الحقيقة الثالثة: نحن الوالدين المرآة الوحيدة لأطفالنا

قال أحدهم هذه العبارة:

we are not what we think we are ...
we are not even what others think we are...
we are what we think others think we are...

التي تعني:

أننا لسنا ما نظن أن نكون

ونحن لسنا ما يظن الآخرين أن نكون

لكننا ما نظن أن الآخرين يظنوا أن نكون....!!

ولعل هذه العبارة تبرز الحق كله. إنها مقولة صحيحة ١٠٠٪ فكل منا يقدر الأشياء بحسب ما يعتقد أن الآخرين يظنون عنها وهى عبارة توضح مدى الخطورة التي يمكن أن تصيب أطفالنا لأننا المرآة الوحيدة لهم والتي يمكن أن ينظروا إليها فيروا أنفسهم أطفالاً مقبولين أو ملفوظين أذكياء أو أغبياء. وربما تفسر هذه العبارة ارتدائنا لعشرات الوجوه مع مجموعات مختلفة من الناس.

فربما الطبيب يبدو جامداً غير مبتسم مع مرضاه. ابتغاء أن يبدو إنساناً محافظاً وقوراً وهم بالتالي يرونه بهذه الطريقة التي بها يبدو ولكنه ربما يقابل في المساء بعض الأصدقاء القدامى الذين يُذكِّرُونه بطيش الشباب، وهكذا

يتحول ١٨٠ درجة من الصباح للمساء. بمعنى آخر أن أغلبنا هم عبارة عما نظن أن الآخرين يتوقعون منا، ولعل هذا يصعب مشكلة تعاملنا مع مشاعر النقص. لأنه لا يكفينا أن نُغير شخصياتنا فقط. بل أن نُغير فكرتنا عن ما يتوقعونه منا.

هذه الحقائق الثلاثة السابق ذكرها. أعني انتشار الشعور بالنقص كقوة ضاغطة لسلوك الإنسان، وطريقة الإنسان للتكيف مع حاجاته، وفكرة الإنسان عن نفسه التي يستمدها ممن حوله. سوف تساعدنا كثيراً عندما نتفهمها كوالدين ونحن نساعد أطفالنا أنْ يعبروا من مرحلة اللامسئولية إلى مرحلة المسئولية باتزان كامل.

الفصل السادس

ثلاثيات Π

ثلاثة أفعال

في محاولـة منا لفهـم كـل مـا يـتعلق بمرحلة الطفولة والمشاعر التي تتغلـب علـيها والطريقة التي ينظر بها الطفل إلى نفسه. جدير بنا أن نلقي نظرة إلى ثلاثـة أفعـال نُقيم أطفالنا على أساسها دون أن ندرى، وهى الأفعال المرتبطة بـالأداء – والـتملك – والكـيونة To do, To have, To be. ولـيس ممـا يتمشـى مـع المـنطق السـليم أن يُعتـبر الـتملك بديلاً عن الكينونة... فالتملك من الوظـائف الطبيعـية لحياتـنا فمـن أجل أن نعيش يجب أن نملك أشياء، وأيضاً نملـك أشـياء لكـي نسـتمتع بها. ولذا نسمع الحديث عن شخص يساوى مليون دولار. فيـبدو أن الـتملك هـو جوهـر الكيـنونة، وأن من لا يملك شيئاً لا يساوى شـيئاً، وأن الخـيار بـين الـتملك والكيـنونة قضـية أساسـية في تعالـيم المسـيح (لـو٩: ٢٤ – ٢٥) "مـاذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله "تملك" وخسر نفسه "كينونته".

والفـارق بين التملك والكينونة هو الفارق بين مجتمع محوره الإنسان ومجتمع محوره الأشياء، أو يمكن القول محوره الأداء والإنجاز.

بـل إن التعـبيرات اللغوية قد حدث بها تطور معين، يعكس التغير

في التوجه نحو أسلوب التملك ذلك التزايد المغلوط في استخدام الأسماء مع التناقص في استخدام الأفعال.

فالأسماء هي الرموز المناسبة للأشياء، ويمكن القول أنني أملك شيئا – سيارة مثلاً. بينما الأفعال هي الرموز المناسبة للنشاط والفعل، فمثلاً: أنا أكون، أنا أحب، أنا أريد.

غير أن استخدام صيغ التملك للتعبير عن النشاط يتزايد باضطراد أي يتزايد استخدام الأسماء عوضاً عن الأفعال، واستخدام صيغة التملك مع ربطها بالأسماء للتعبير عن نشاط إنساني إنما هو استخدام مغلوط، فالنشاط لا يمتلك ولكنه يمارس، وقد لُوحظت هذه النتائج السيئة لهذا الخلط منذ فترة بعيدة فأورد "دى ماريه Du Marai" تعبيراً عن المشكلة في كتابه "المبادئ الحقيقية لقواعد اللغة" ١٧٦٩م عندما يقول: "أنا أملك ساعة" هذا التعبير يجب أن يفهم على وجه صحيح، ولكنه حين أقول: "أنا أملك فكرة" تعنى أنا أفكر، أى أننى أدرك الأمور بهذه الطريقة، "وأنا عندى شوق" تعنى أنا أرغب. و"أنا عندى أرادة" تعنى أنا أريد.

ومنذ هذه الملاحظة حدث توسع في استخدام الأسماء عوضاً عن الأفعال على نطاق واسع، فقد يعرض الإنسان نفسه على الطبيب النفسي ليقول: "أنا عندى مشكلة. عندى أرق.." وربما لو جرى مثل هذا الحديث منذ بضعة عقود لقال المريض "أنا قلق عوضاً عن أنا عندى مشكلة" وعوضاً عن "أنا عندى أرق "ربما يكون التعبير" أنا لا أستطيع أن أنام".

ومن إلقاء نظرة عامة على معنى التملك والكينونة نصل إلى:

(١) عـندما نـتحدث عـن الـتملك أو الكيـنونة فإنمـا نقصد نوعين مختلفين للتوجه الإنساني نحو النفس والعالم.

(٢) في أسـلوب الحياة التملكى تكون علاقتي بالعالم علاقة ملكية وحيازة، علاقة أريد بها أن يكون كل شخص وكل شئ ملكاً لى بما في ذلك ذاتى.

(٣) عند اعتبار أسلوب الكينونة نجد شكلين من هذا الأسلوب:

الأول: نقيض التملك ويعنى الحيوية والإرتباط بروابط أصيلة بالعالم.

الثاني: نقيض المظهر ويعنى الجوهر الصادق الحقيقي للشخص.

(٤) بيـنما الـتملك يتـناقص بالإسـتخدام تـتعاظم الكينونة بالممارسة فالعقل والحـب والخلـق وكـل القدرات الجوهرية تنمو وتتعاظم بإطّراد بمزيد من التعبير عنها، وما يوهب منها لا يضيع. بينما ما يحبس هو الضائع.

قصدت من هذه المقدمة الطويلة، أن أنبه أننا في أغلب المرات نتعامل مـع أطفالـنا مـن منطلق فعل التملك To have أو الاداء To do بمعنى أننى سوف أسدد له احتياجه النفسي بشروط، فسوف أحبه عندما "يجلس هادئاً في الفصـل" أداء... أو "عـندما يـتفوق في الدراسـة" أداء... أو عـندما يكون "نظيفاً" تملـك... أو "مهـندماً" تملـك، بمعـنى آخر أننا عندما نتعامل ـ دون أن ندرى ـ مـع أطفالـنا وأولادنـا، تحركـنا هـذه الأفكـار التي تعلمناها نحن في الصغر. فلقد تعلمنا أن المحبة تقدم لنا بشروط ومقاييس من والدينا وأن المجتمع والبيئة تقبلنا مـتى كـنا وفق شروطها. والمشكلة الكبرى أننا نمارس مع أولادنا ما كان يؤلمنا في الماضي.

ألا نـردد في مـرات كـثيرة لأطفالـنا "كـن طفـلاً جـيداً حتى يحبك باب"، بل أننا في مرات أخرى نستخدم العبارة "خليك كويس علشان بابا يسوع يحـبك". يالهـا مـن مشـكلة فالـرب قـد قبلـنا كمـا نحن "بحسب كينونتنا" لا بحسب ما صرنا إليه وكلنا يدرك هذا ولكننا مع الأسف غير مستعدين لأن نقبل أطفالـنا كمـا هـم To be دون رتـوش دون أداء To do دون امـتلاك To have لأشـياء نفخـر بهـا. ألم يقـل الـرب أنـه اخـتارنا في المسيح يسوع قبل تأسـيس العـالم، أى قبلـنا لكينونتنا بكل ما فينا من نقائص وتقصيرات. ألم يقل الرب محبة أبدية أحببتك.

كـم نحتاج أن نفتح قلوبنا وعقولنا وصدورنا حتى نقبل أولادنا كما هم، لا بحسب أدائهم أو ملكاتـهم.

الفصل السابع

ثلاثيات III

ثلاثة مشاعر

عـندما ننقـب في مخـزن الذكـريات لكـي نستدعى بعض الذكريات المرتـبطة بإدراكـنا لمدى فاعليتنا كأشخاص سنستكشف ونحن ننقب ثلاثة أنواع من المشاعر الهامة جدير بنا أن نتفهمها جيداً.

هذه المشاعر هى الشعور بالإنتماء، بالقيمة، بالكفاية أو المقدرة، وهى ثلاثـة مشـاعر تمثل ثلاثة نغمات لوتر آلة موسيقية قد تظهر بعضها في مناسبات خاصـة ولكـن مـن الصـعب تمييـزها عـن بعضها الآخر. ومن السهل تشبيه هذه المشاعر بثلاثة أرجل لمنضدة تستقر عليها فكرتنا عن أنفسنا. وكل من هذه المشاعر تبدأ في الظهور منذ وقت مبكر في مرحلة الطفولة.

الإحساس بالإنتماء:

إنـه الإحسـاس بأنـنى مطلـوب ومقـبول، الإحساس بأننى ضمن أو أنـنى جـزء من. ذلك الإحساس الذي نختبره عندما نُطلب ممن حولنا، إنه من الطبـيعي أنّ كـل مـنا يـريد أن يكون "ضمن" الناس الذين يَرْتاح إليهم. بل لعلنا نترقـب دلائـل قبولهم لنا. وكلنا لديه حاجة أصيلة للإحساس بأننا ضمن أو أننا جـزء ممـن يهـتموا بـنا شخصياً. ولعل الكثيرين ممن لا يجدون إشباعاً في إقامة

علاقات مع الآخرين يشغلوا أنفسهم بأشياء أخرى مثل الإهتمام بالأشياء القيمة، والبعض الآخر في محاولة منه لسد فراغ الإحساس أنه مطلوب – أو أنه ضمن مجموعة – يوجه اهتمامه للولع بالحيوانات مثلاً.

هذا الإحساس بالانتماء يؤسس مبكراً في مرحلة الطفولة. وعندما يقدم الوالدان محبتهما وقبولهما لأبنائهما مجاناً. وعندما يختبر الطفل الصغير هذا الإحساس بأنه مطلوب ومقبول يتولد لديه نوع من الثقة في صلاح هذه الحياة التى يحياها وفي الآخرين الذين حوله.

الإحساس بالقيمة أو بالجدارة:

إنه الإحساس بأننى على صواب فنحن عادة نشعر بقيمتنا عندما نؤدى ما يجب علينا أن نؤديه. ويختلف هذا الإحساس باختلاف نظرتنا لتقدير الآخرين لأفعالنا.

فعندما لا يوافقنا الآخرون أو ينتقدونا نشعر بعدم القيمة.

ولعل الإحساس بالقيمة يرتبط إلى حد كبير بالإحساس بالإنتماء. فنحن نشعر شعوراً طيباً عن أنفسنا عندما نقبل من الآخرين. ولكي نحافظ على إحساسنا بالقيمة نسلك مسالك عدة. فالبعض يهاجم الآخرين بدعوى أنهم المخطئون، والبعض الآخر يقدم النصيحة، والبعض يحافظ على هذا الإحساس بأن يعزف عن اتخاذ قرار ما.

ومثله مثل باقى الأحاسيس التي تنمو من الطفولة المبكرة. يكبر هذا الإحساس بقيمتنا نتيجة مديح وتقدير والدينا.

الإحساس بالكفاية:

إنـه الإحسـاس بـالإقدام، بـالأمل، بـالقوة، في أداء عمـل مـا. إنـه الإحساس "بأنني أقدر" على مواجهة المصاعب. والكفاية الحقيقية تتضمن إدراك الإنسـان لقدراتـه بالإضـافة لإدراكه بنقصاته. وإحساسنا الحالي الذي نختبره في مـرحلة الكـبر ـ بالكفاية ينتج مما يحدث في حياتنا الآن. ولكن ينبغي ألا ننكر تأثير ذكريات الطفولة التي صاحبت نجاحنا وفشلنا في الصغر.

تناغم هذه المشاعر الثلاثة:

الإحساس بالإنتماء حاجة أصيلة في الإنسان ولكن الإحساس بالقيمة يعـتمد إلى حـد بعـيد عـلى الإحساس بالإنتماء لأن الإنسان لابد أن يشعر بقبول الآخرين له حتى يُقَدّر تقيمهم له. والإحساس بالكفاية يعتمد على كل من الإنتماء والقيمة. فنحن نحتاج لقبول الآخرين حتى نُقَدّر موافقتهم أو نقدهم لنا.

الإنتماء يعتمد أساساً على اتجاهات الآخرين (ومن ضمنهم الوالدين) الـتي يمارسـونها معـنا في قبولهم لنا. والقيمة تعتمد على تقديرنا الداخلي لتقييم الآخرين والإحساس بالكفاية، مزيج من خبرات الماضي ونجاح الحاضر.

الإنتماء يضع الإنسان في موقف الإحترام من الآخرين.

والقـيمة تضع الإنسان في موقف الإحترام من نفسه ومبادئه وبالتالي تؤثر في سلوكياته.

والكفاية تضع الإنسان في موضع احترام ظروف الحياة ومن ثم تعلمه تحمل المسئولية.

وهكـذا نشـعر كوالدين؟ أن هذه الثلاثة مشاعر حاجات أصيلة لأولادنـا يحـتاجوا لأن نوفيها لهم، بالرغم من.. نعم بالرغم من أدائـهم أو ملكاتهم.. نوفيها لهم لمجرد أنهم أبنائنا لكيونتهم..

الفصل الثامن
سلوك الطفل

في محاولة منا لفهم وتفسير سلوك الطفل ينبغي ألا ننس أن جزءاً كبيراً من نشاط الطفل وسلوكه مكرس لحمايته من ألم الإحساس بالنقص.

وتوجد ستة نماذج سلوكية يتعامل بها الإنسان صغيراً كان أم كبيراً مع مشاعر النقص هذه وهى تقدم تفسيراً إلى حد كبير لسلوك الإنسان.

النموذج الأول: الإنسحاب

أحد الوسائل المعروفة لمعالجة الإحساس بعدم الكفاءة أو النقص هو الإنسحاب التام.

عندما يقرر الإنسان هذا المسلك ـ حتى وإن كان لا يدرى – فإنه يقرر في ذهنه أنه أقل شأنا أو قيمة وأنه يُقيم نفسه وفقاً لإنجازاته. وحالما يقبل الإنسان عدم تقديره لنفسه فإنه سرعان ما يبحث عن مخبأ لذاته الجريحة. ويصبح الحذر نصب عينيه وينسحب في حصن من الصمت والعزلة مفضلاً ألا يواجه مزيداً من الألم العاطفي مرة أخرى. إنه لا يبدأ حديثاً وسط مجموعة أو يجرؤ على النزول في انتخابات.

ومنذ السنوات الأولى في عمر الطفل يتعلم أن يتعامل مع إحساسه بالنقص بوسائل دفاعية تتسم بالخنوع . وفي كل فصل دراسي توجد مجموعة من

الأطفال التي تحاول أن تحمى نفسها من هذه المشاعر. وفي السنوات الأولى ربما يجلس الطفل في صمت ويلقبه أقرانه "بالهادئ والخجول". وغالباً ما يحكم على مثل ذلك الطفل خطأ بأحد حكمين:

(١) حيث أنه هادئ لا يستجيب غير مبادر فهو غالباً أنانى لا يفكر إلا في نفسه.

(٢) وحيث أنه لا يتكلم فيفترض أنه لا يفكر.

إنه يتعلم منذ الصغر أن أسهل وسيلة دفاعية له هى أن يُبقِى فمه مغلقاً. وغالباً فإن مثل هذا الطفل يتعاون مع مدرسيه ويتحاشى الخلاف مع أقرانه ولكن هذا الأسلوب الهادئ في التصرف هو في واقع الأمر أسلوب خاطئ.

إنه أسلوب غير مُجْد، فبالإضافة لما يسببه لصاحبه من ألم إلا أنه في الحقيقة هو أسلوب غير دفاعي بالمرة.

ويقرر العلماء أن البالغين ممن يختارون مثل هذا المسلك يتعرضون أكثر من غيرهم للقرح والصداع النصفي والمغص الحاد وغيرها من الأمراض النفسية (جسمية أو السيكوسوماتية) وأن حرصهم الشديد يمنعهم من التنفيس عن عواطفهم المحبوسة داخلهم. إن الإنسحاب على أى مستوى ليس هو الحل لمعالجة إحساس الإنسان بالعجز.

النموذج الثاني: الهجوم (العدوان)

إن المشاعر التي يمكن أن تدفع الطفل للإنسحاب من المجتمع يمكن أيضاً ان تجعله عدواني في هجومه وبدلاً من أن يخضع الطفل لمشاعر النقص كما

في الطفل المنسحب فإن الطفل المهاجم من السهل عليه أن يغضب لما يراه. إنه من النوعية التي يمكن أن نطلق عليها "روحه في مناخيره" وإذا تم تنبيهه ليَكُفّ عن تهديداته فإنه يصبح المهدد الأكبر في ملعب الكرة مثلاً. وعندما يتقدم في العمر يصبح إنساناً لا يطاق لأنه يبحث عن أى شخص ليثير معه المشاكل.

ورغم كل ذلك فإن الطفل الذي يتسم بالعراك في سلوكياته أقل تعرضاً للضرر من مشاعر النقص كما في حالة الطفل المنسحب. إن لديه شيئاً على الأقل ليدافع عنه.

وكثير من الأطفال الذين يبدو عليهم الهدوء والأُدب عندما يدخلوا مرحلة المراهقة يدركون من خلال المشاحنات مع أقرانهم أنه من الأسهل عليهم أن يعاركوا عن أن ينسحبوا. وفجأة يتحول ذلك الطفل الخجول الهادى إلى طفل عنيف .. مُعَارِك.

وعندما تزداد حِدّة مشاعر النقص فإن التحول من الإنسحاب كسلوك إلى العدوانية والعراك يكون مصحوباً بالعنف والقسوة.

وربما نتذكر قصة ذلك الشاب "لى هارفى أزوالد" الذي أُتهم باغتيال الرئيس الأمريكي كيندى. لقد كان طفلاً تعيساً. حاول أن يحل ما يواجهه من مشاكل لكنه كان يسير في طريق مسدود. ذلك أن فراره من روسيا (انسحابه) لم يجدى شيئاً وزيجته من امرأه متسلطة (خضوعه) أيضاً لم يجدى شيئاً. لقد كان غير ناضج بالمرة. وأخيراً تحول حزنه إلى غضب سيطر عليه. ونظراً لقلة جسده وابتعاد الناس عن مصاحبته فلقد أراد أن يعمل عملاً يشهد له العالم بأسره. وتم له ما أراد عندما شارك في اغتيال كيندى.

وربما تفسر الحركات التحررية للمرأة في أمريكا وما يصاحب هذه الحركات من مشاعر الضغينة... نموذجاً للتحول من مرحلة الإنسحاب إلى مرحلة الهجوم فلقد تم شحن السيدات في فترة ما أنهن "ربات بيوت فقط" ليس لَهُنّ دور آخر، وصاحَبَ هذه الفكرة الإحساس بعدم الأهمية أو القيمة وهو بالطبع إحساس خاطئ مما دفع الحركة إلى الإتجاه المضاد (من الإنسحاب إلى الهجوم)، هذا أدى إلى تهديد كيان الأسرة في أمريكا.

النموذج الثالث: التهريج

أسلوب آخر معروف للتعامل مع مشاعر النقص هو من خلال التهريج عن طريق إلقاء النكات على أى شئ. ولعله من الملاحظ أن الطفل البدين يكون عادة خفيف الظل. إنه يشعر في أعماقه أنه مختلف عن السواد الأعظم من الأطفال (مشاعر نقص) ويكتشف أن أفضل طريق للتعامل مع ألم مشاعر النقص هو التهريج حتى على نفسه فيجد قبولاً لدى الآخرين. ويقال أن أغلب الممثلين ذات الطابع الكوميدى قد تدربوا منذ الصغر على خفة الظل، وربما كان التهريج وسيلتهم لذلك.

وأغلب المدرسين يعرفون جيداً أن في كل فصل مدرسي يوجد مهرج ولكنهم قد لا يعرفون أن وراء هذا التهريج يوجد دافع قوى للإحساس بالنقص... بالعجز.

النموذج الرابع: إنكار الواقع

يحكى الطب النفسي قصة ذلك الطفل الذي تعود أن يلبس قفازاً

حـتى في أكـثر الأيـام سخونة. وعمل مدرسيه محاولات عديدة لإثنائه عن لبس القفاز حتى يستطيع أن يمسك القلم جيداً أو أن لا يعوقه القفاز في ممارسة نشاطه المدرسـي. وبعـرض الطفـل عـلى الطبيب النفسي وجد الطبيب أن هذا الطفل هو الوحيد الأسود وسط فصل من الأطفال البيض وكانت بشرة الطفل تظهر أكثر عند مـنطقة الكـف. وبـدون أن يـدرى هذا الطفل عاش في مرحلة إنكار للواقع ورفض مجـرد الـتفكير في مصـدر إحساسـه بالعجـز. وكـان مسـلكه هذا أحد الأساليب المعهودة في التعامل مع الإحساس بالنقص وربما يمر الطفل خلال بحثه عن إنكار الواقع بما نسميه الإنحراف النفسي.

فـربما يرسـم هذا الطفل أحلامه الخاصة. وربما يحاول التكيف مع مشـاكله الخاصـة بمحاولـة إنكار وجودها تماماً. ويحاول أن يحيا حياته كما لو كانـت غـير موجـودة. ولـو استمر الحال معه حتى مرحلة النضج فربما يغرق في مستنقع الإدمان الكحولى كمحاولة للهروب من الواقع.

النموذج الخامس: التكيف (أو التطابق)

"جـزء كـبير مـن طاقـة الإنسـان يسـتنفذ في محاولـة أن أكـون مثل شخص ما في مخيلتى. خوفا من أن أكون كما أنا."

عبارة تبدو غامضة بعض الشئ ولكنها حقيقة ١٠٠٪

قـال أحدهـم "أرنـى إنساناً لا يعرف معنى كلمة خوف. أريك دُمية تتقبل العديد من الضربات".

إن الـتقمص يعتـبر أحـد الأسـاليب التي يسلكها الإنسان في مواجه

إحساسه بالنقص. وهؤلاء ممن يتبنوا هذه الفكرة يخافون من التعبير عن آرائهم. إنهم يبحثون عن محبة وقبول الجميع بغض النظر عما يتعرض له ما يؤمنون به من مبادئ.

والرغبة في التكيف تسود على نشاط المراهق لفترة عشرة سنوات أو أكثر.

النموذج السادس : التعويض

لقد استعرضنا خمسة نماذج من سلوك الطفل أو الإنسان تجاه إحساسه بالنقص وبالطبع فإن اختيار أيّاً منها لا يخضع للإختيار المدرك الشخصي. ولعله من الملاحظ – وربما مما يدعو للدهشة – أن المجتمع من حولنا يملى الطريق أو النمط الذي يتوقع من الفرد أن يسلكه. فمن المعروف لجميعنا أن الإنسان البدين إنسان خفيف الظل، مهرج وربما قد تستغرب كثيراً إذا رأيناه يعارك أو ينسحب لأننا نتوقع دائماً أن نراه مبتسماً. والمراهق نتوقع عادة أن يعارك. وربما يعيش في إنكار للواقع. بل إن علماء النفس يقررون أن المراهق يمر بالخمسة نماذج السابق ذكرها. وسبب ذلك أن شخصية المراهقة تكون في مرحلة تغير وإعادة تقييم. وهذه القوة الضاغطة – أعنى قوة المجتمع – ستطبع بصماتها على شخصياتنا.

ولعل الخمسة نماذج السابق ذكرها تقدم لنا وسائل للتعامل مع مشاعر النقص، ولكن المشكلة أنه يتبقى مع هذه الخمسة نماذج بقية من مشاعر عدم الثقة في النفس .

ولكن لحسن الحظ يوجد بديل آخر لعله أقل ضرراً لنفوسنا ونحن

نحاول أن نهرب من إحساسنا بالنقص، إنه أسلوب التعويض.

ولعل تفاعلنا اللاواعي للتعويض يكون بهذا المنطق: إنني أرفض أن أغرق في بحر مشاعري بالنقص، يمكنني أن أحقق النجاح إذا عملت بجد. ولذا فسوف أصب كل طاقتي في هذه السلة (الرسم، الأدب، الأمومة، التجارة، الأبوة، الرياضة، عزف البيانو..الخ).

وهذا النوع من التعويض يزودنا بالطاقة النفسية لأى نجاح في السلوك الإنساني.

يمكننا أن نعرِّف التعويض على أنه التركيز الزائد على سمة معينة أو سلوك معين أو نشاط معين كوسيلة لتخفيف التوتر والقلق أو الشعور بالذنب الناشئ عن الإحساس بعيب شخصي.

في دراسة لبحث الخلفية الأسرية لحوالي ٤٠٠ شخص من الأشخاص الناجحين ذوى الأسماء اللامعة أمثال تشرشل، غاندى، روزفلت، فرويد كشفت الدراسة عن نتائج مدهشة:

(١) ٣/٤ العينة (الأطفال) كانت تعيش عيشة مضطربة تحت تأثير الفقر، البيوت المفككة، الآباء المتسلطين أو الفشل الدراسي أو الأمراض المستعصية.

(٢) ٧٤ من ٨٥ أصبحوا كتاباً للدراما، ١٦ من ٢٠ شعراء حيث جاءوا من أسر عانوا فيها من الدراما الحقيقية من خلال والديهم.

(٣) الإعاقة البدنية مثل العمى والصم والعرج والسمنة مثلت ١/٤

العينة.

ولعله من الواضح عند التدقيق في مثل هذه الدراسات أن الحاجة للتعويض لمواجهة عجز الإنسان كانت العامل الهام لدفع الإنسان لتحقيق النجاح، بل إننى أستطيع أن أقول أنه يوجد الآلاف بل الملايين من الأشخاص الذين يعانون من العجز (النقص)، ومن خلال استخدامهم للتعويض حققوا الثقة والتقدير لأنفسهم.

حقاً إن اتجاه الإنسان نحو معوقاته يحدد تأثير هذه المعوقات على نفس الإنسان.

وقد نجد أنه من المألوف أن نلوم الظروف لتبرير تصرفاتنا الغير مسئولة فالعديد يدّعِى أن الفقر يدعو للجريمة والبيوت المفككة تنتج مجرمين صغاراً والمجتمعات المريضة تفرز مدمنين للمخدرات، ولكن من الواضح أن هذا التعميم يرفع المسئولية من على أكتاف الفرد. والحقيقة التي يجب ألا تغيب عن أذهاننا أننا لابد أن نقرر ما نصنعه تجاه عجزنا. وهذا سيلزم منا الشجاعة للإقدام.

ودورنا كآباء هو أن نفتح الباب أمام أولادنا للإختيار بتزويدهم بالوسائل التي تمكنهم من التعويض بداية من عمر الطفولة.

الفصل التاسع

تهذيب سلوك الطفل

أهم ما يشغلنا كوالدين هو كيف نشكل أولادنا؟

كيف نقودهم من مرحلة الطفولة إلى مرحلة النضج دون أخطاء تذكر؟

ماهى الوسيلة المناسبة لمثل ذلك السلوك؟

أسئلة كثيرة تدور في أذهاننا.

ولقد خصصت هذا الفصل للتركيز على بعض الوسائل الصحيحة لتهذيب الطفل.

(١) التقليد

من أهم الوسائل التي تعمل دون تدخل تلك الطريقة – أعنى التقليد– أنها تعمل بفاعلية ويمكن استخدامها لتعليم أولادنا عادات جيدة وأغلب سلوكيات أطفالنا تتأثر إلى حد كبير بهذه الطريقة.

إن كنت تريد أن تعلم طفلك الصلاة مثلاً لا تتحدث معه كثيراً عن هذا الأمر، دعه يراك وأنت تصلى... إنها رسالة واضحة كل الوضوح له. لا نحتاج لأن نعدد له مزايا أي سلوك نريده أن يسلكه.

هل تريد أن تعلمه ضبط النفس، الأمانة، دراسة الكلمة... دعه يراك

على الطبيعة.

ولكـن أحذر من التظاهر فإن الصغير لديه حاسة بها يدرك التصرف الأصيل والتصرف الـزائف، وكـم مـن المـرات فضح الأطفـال ببرائتهم والديهم لرؤيتهم تصرفات لم يألفوها من والديهم في حضور الغرباء.

والتصـرفات السـلبية أيضـاً للوالدين من السهل على الصغار تقليدها مـثل العصـبية والصـوت العـالي وسـلاطة اللسان وغيرها من الأمور التي لا نريد لأطفالنا أن يتعلموها.

إن الكثير من أطفالنا يفهم رغبة الوالدين على النحو التالي:

"افعل كما أقول لك لا كما أفعل أنا" بمعنى المهم أن تتبع ارشاداتى لا أن تقلد تصرفاتى، إنها رسالة فاشلة لا تحدث أثراً في الطفل.

(٢) الإتصال الجيد بالطفل

حـتى يصـل الطفـل إلى مـرحلة الفهـم لمـا نـتوقعه منه فإنه عادة لا يستجيب لأية وسيلة لتهذيب سلوكه. ولذا فمن المهم أن التهذيب الجيد لابد أن يـبدأ بإتصـال جـيد بـالطفل أى أن القنوات تكون مفتوحة تماماً بين الأب والأم والطفل.

وأحـياناً يكـون الإتصـال في صـورة حديـث لـيس إلا. وفـى بعـض الأحيان الأخرى لابد من استخدام وسائل أخرى.

قـد يكـون الإتصـال مثلاً من خلال عبارة "لا..لا" لطفل عمره عشرة شـهور يلقى طعامه على الأرض وحيث أن عبارة "لا..لا" لا تكفى لتغيير المسلك

فلابـد مـن وسـيلة يفهمهـا الطفـل. إنـه لا يفهم النتائج المنطقية لعدم السماح له بـالأكل عـلى الأرض، وربمـا لـو سحبنا الأكل من أمامه فلن يفهم، ولعل ضربة متوسـطة القـوة عـلى يـد الطفـل بـدون التحذير المسبق "لا..لا" تعتبر جزاءً غير عـادل. ولكـن مـن الأفضـل أن يكـون العقاب البدني بعد التحذير، أى أن نربط عـبارة "لا..لا" بنتـيجة غير مستحبة وهي الضرب مما يزيد من استجابة الطفل لعبارة "لا..لا".

وعـندما يكـبر الطفل أكثر لابد أن يكون الإتصال جيداً بين الوالدين والطفل ولابد للطفل أن يفهم جيداً وبوضوح قصد والديه، لا تعتمد على التخمين كن واضحاً صريحاً محدداً فيما تتوقعه من طفلك.

(٣) التحفيز

عـندما نريد أن نرسخ سلوكاً جيداً. فإننا يجب أن نستخدم أسلوب التحفـيز مجرد مديح قطعة من الحلوى مقابل تصرف جيد تزيد من فرصة تكرار مثل هذا المسلك.

والـبعض يسـتخدم النقود كوسيلة حفز، والنقود إلى جانب ميزاتها إلا أن لها مساوئ كثيرة:

أولاً: إنها لا يمكن أن تقدم بكثرة.

ثانياً: أغلبنا لا يريد أن يُعلم أولاده أن يعمل من أجل المال فقط.

يكفيـنا مادية المجتمع حولنا وما يتعلمه الطفل من المجتمع من أنه يجب أن يقبض مقابل أى عمل. وبعض علماء النفس يقترح نظاماً أفضل للتحفيز

كالتالي:

لنقترح نظاماً بإعطاء الطفل عدد من النقاط مقابل كل سلوك طيب فمثلاً بأخذ الطفل ٥٠ نقطة لترتيب فِراشه، ١٠٠ نقطة لإتمام الواجب في موعده، ٣٠ نقطة لإنهاء طبق طعامه، ٢٠ نقطة للنظافة. وهكذا يمكن استخدام هذه النقاط في مجالات كثيرة أخرى وعندما يجمع الطفل مجموعة من النقاط مثلاً ٢٠٠٠ نقطة يعوَّض بجائزة.

على أنَّ أغلب علماء النفس يحذرون من أضرار استخدام النقود كوسيلة تحفيز لأنها تعلم الطفل أنه "يستحق" الدفع عند أدائه واجباته الروتينية وبالتالي فإن الطفل يمكن أن ينمو ولديه دوافع غير صحيحة. فلابد أن يتعلم الأطفال أن يؤدوا أعمالهم لأن جميع أفراد الأسرة تشارك في تحمل المسئولية وليس لأنهم يأخذون مقابل مادى لمشاركتهم، وعلى الأطفال أن يدركوا أن عليهم دوراً وبالتالي فلن يدفع لهم مقابل القيام بأعمالهم "الأكل، المذاكرة، ترتيب الفراش...إلخ".

وسبب آخر لخطورة المادة كحافز أنها تهمل المشاكل التي قد لا تظهر فوق السطح. فقد يكون سبب عدم قيام الأطفال بواجباتهم المدرسية هو الرغبة في مقاومة سلطان الوالدين وربما يُحسن من درجاته إذا استخدم المادة كحافز ولكن ماذا عن اتجاهاته الداخلية. بل إن استمرار استخدام المادة كحافز يفقد الطفل احترامه لنفسه لأنه سيدرك أن الدفع المادى مقابل الإنجاز وليس لتقدير الشخصية.

ولـذا ينصـح عـلماء النفس أنه لا بأس من مكافأة مادية على فترات متباعدة كحافز غير متوقع لأداء يفوق الواجب وهذا يلاشي فكرة استحقاق الدفع.

كيف تحفز الطفل لأداء عمل ما:

(١) لابد أن تجلس مع الطفل وتوضح له ما هو المطلوب منه ولابد أن تتأكد تماماً من أنه يفهم ويعى أبعاد العمل المطلوب منه.

(٢) عـدد له المهـام اليومـية ووضـح له تمامـاً المـتوقع منه بل دعه يقترح ما يستطيع إنجازه.

(٣) اعطـه شـيئاً يحصـل علـيه عـند أداء العمل بطريقة جيدة وشيئاً ليفقده عـندما يؤديه بطريقة خاطئة وكلما ذادت المسافة بين البديلين كلما كان على استعداد لتقبل المسئولية أكثر.

وكمثال للتحفيز:

يمكن أن تصمم ترمومتر على قطعة من الورق المقوى على الجانب الأيمن تسجل عدد ساعات العمل وعلى الجانب الأيسر الحافز في صورة نقاط. ويمكن استخدام مثل هذا الترمومتر بطريقة أخرى كأن نخترع له نظاماً للدراسة خلال أيام الأسبوع كالآتي:

٤ ساعة — ٨٠ نقطة
٣ ساعة — ٦٠ نقطة
٢ساعة — ٤٠ نقطة
١ ساعة — ٢٠ نقطة

عـندما يـتم واجـبه الـيومي في موعده أو يستذكر درس كل يوم بيوم سجل له عـدد مـن الـنقاط وفي حالة عدم إتمامه دروسه في موعدها لا تسجل له

عدد النقاط بل عليه أن يؤدى ما عليه في يوم الإجازة. وفي حالة جمعه عدد معين من النقاط تكون المكافأة شيئاً يحصل عليه.

أشياء هامة للتحفيز:

(١) لا تتوتر أو تصرخ في الطفل... إنها مسئوليته والهدف هو تعليمه المسئولية.

(٢) عندما يفشل دعه يختبر ذلك الألم المتفق عليه مسبقاً.

(٣) تأكد أن المكافأة أو الجائزة شيئاً يحرص على اقتنائه.

وأنت تحفز الطفل تحاشى زيادة العناية والإعتماد الكلى عليك:

منذ سن الثالثة يبدأ الطفل في الاحتكاك بالعالم حيث يلعب مع جيرانه وبعد سنة أو اثنين يلتحق بالحضانة ويصبح من الصعب بالنسبة للأم أن تتحكم في البيئة خارج المنزل حيث يصادف أقران يمكن أن يهزأوا به أو يتهكموا على تصرفاته. أو أن يكون غير قادر على منافستهم.

وتعتبر هذه الفترة تهديداً لبعض الأمهات التي تفضل أن تأخذ طفلها في حضنها حتى تحميه من أية مؤثرات خارجية.

وقد تقنع الأم أنه بالملاحظة والحماية والتدخل ليلاً ونهاراً في حياة طفلها أنها تجنبه الألم الذي يمكن أن يجتازه وهو صغير... ولكن مثل هذا التدخل الزائد والحماية يمكن أن تعوق نمو صغيرها عاطفياً. فالطفل لن يتعلم المشي مثلاً ما لم يسقط مرة ومرات وهو يتقدم.

ولعل مشكلة الإعتماد على الوالدين تبدأ مبكرة منذ ولادة الطفل

حيث يكون مخلوقاً لا حيلة له معتمداً كلية على والديه لا يستطيع أن يصنع شيئاً لنفسه وبالتالي فإن والديه مسئولين عن إشباع حاجاته المختلفة. إنهم خدامه وهو لا يستطيع حتى أن يقول لهم شكراً أو إذا سمحت بل إنه لا يستطيع أن يعتذر عن ايقاظهم ٥-٦ مرات كل ليلة. بمعنى آخر أن الطفل يولد في حالة اعتماد كلى وكامل على من يحمل أسمائهم. وبعد عشرين سنة في نهاية مرحلة المراهقة نتوقع تغييراً جذرياً في حياة الإنسان. إنه يجب أن يتحمل المسئولية كاملة. نتوقع أن يصرف المال بحكمة، أن يمارس عمله بإتقان، يطيع القانون، يصبح مواطناً صالحاً وخلال الإنتقال من مرحلة الطفولة إلى النضج يتحول الإنسان من اللامسئولية إلى المسئولية الكاملة ولكى يستطيع أن يتحمل المسئولية كاملة لابد له أن يتدرب خلال طفولته وأن نشجعه ونحفزه لتحمل مسئوليات مناسبة لسنه.

وخلال طفولته يبدأ الطفل في التعلم للمشي والكلام والأكل ويتعلم مهارات أخرى وتتحرر الأم شيئاً فشيئاً من مسئولية خدمه الطفل. وعند سن ١٨ شهراً يبدأ الطفل في إدراك شيئين:

(١) أن العمل شئ غير مستحب يجب أن يتجنبه.

(٢) أن كل عمل يُجبر أن يقبله يفقده أمه شيئاً فشيئاً. وفي حين أنها كانت خادمته الأمينة كل الوقت فقد بدأت تتحرر منه وهكذا يُفضل الطفل أن يعيش في مرحلة الطفولة التي تجعل منه ملكاً متوجاً.

ولعل منطق بعض الأمهات "إذا حافظت على طفلي معتمداً عليَّ

وجنبته مواجه العالم. فإننى أجنبه الألم" ولذا فإنها تمنع طفلها من أداء أى عمل مهما كان حتى حمل حقيبة المدرسة. بل تذهب معه للمدرسة ولعلها تكون فخورة بأنها أم صالحة وبهذه الحماية الزائدة فإن الطفل لا يستطيع أن يعمل شيئاً لنفسه. لا يستطيع أن يشارك الآخرين لأنه لم يتعلم إلا أن يفكر في نفسه. وهنا يجد أنه من الصعب عليه أن يقرر قراراً ما، وشيئاً فشيئاً يدخل مرحلة المراهقة بدون إعداد مسبق.

إن على الوالدين أن يتحرروا من طفلهم حتى يستطيع الطفل أن يحصل على حريته من والديه.

وربما العديد من الأمهات يمارسن الحماية الزائدة والعناية بأطفالهن لحاجتهن الشخصية لذلك في المقام الأول. فربما فقدت الأم رومانسية زواجها ولم يبق لها سوى ذلك الطفل. المصدر الحقيقي للمحبة في حياتها وربما تخشى الأم من مشاعر الذنب. فتحاول أن تقنع نفسها أنها أم مثالية وتتفانى في حماية طفلها بدلاً من ألم مشاعر الذنب.

(٤) الإخماد

عندما نريد أن نضعف سلوكاً سلبياً لدى الطفل فنحن عادة ما نستخدم أسلوب الإخماد. إبحث عن أية مكافأة يحصل عليها الطفل نظير سلوكه السيئ وحاول أن توقفها.

ولنسأل أنفسنا هذه الأسئلة: هل هو يطلب الإهتمام. يعارك للبحث عن القوة يحاول أن يبنى إحساسه بالقيمة. يبحث عن الإنتقام؟ وبالبحث عن

هـذه الدوافـع وإزالة ما قد يحصل عليه أثر هذا السلوك السيئ فإننا نساعد كثيراً في إخماد مثل ذلك التصرف.

(٥) استخدام النتائج الطبيعية

إذا كـان الإتصـال بالطفل لا يجدى. يفضل استخدام طريقة النتائج الطبيعية لعل هذه الطريقة تجدى مع أى سلوك له نتائج غير مطلوبة.

الـتحذير الوحـيد في اسـتخدام النتائج الطبيعية هو ما إذا كانت هذه النتائج تمثل خطراً على حياة الطفل.

ونحن كثيراً ما نعوق النتائج الطبيعية من أن تأخذ دورها في تشكيل سـلوك الطفل لأننا لا نريد لأطفالنا الألم ولكننا ينبغي ألا ندع الخوف يمنعنا من أداء ما نراه صالحاً بالنسبة لأبنائنا.

إن التنبيه مئات المرات للطفل أن يبتعد عن الفرن الساخن لن يعادل مـرة واحـدة يقـترب منها الطفل من الفرن الساخن ويلسع. إنها النتائج الطبيعية لسلوكه. إن هذه النتائج الطبيعية تجنبنا الضرب أو الصراع مع الطفل.

(٦) النتائج المنطقية

عندما لا توجد نتائج طبيعية لسلوك الطفل أو عندما نشعر أن النتائج الطبيعـية تمـثل خطـراً يهـدد حـياة الصـغير ينبغي أن نستخدم النتائج المنطقية للسلوك وهى ببساطة تعنى أن نخترع له نتائج يجنيها من سلوكه الطيب وأخرى يفقدها أثر سلوكه السيئ وكلما زاد الفرق بين ما يحصل عليه وما يفقده كلما كان

الأثر على سلوكه أقوى.

علينا أن نفسح الطريق لهاتين الطريقتين لتؤديا دورهما ولكن لنتذكر ان علينا مسئوليتان:

(١) أن تحدد النتائج السلبية المنطقية المترتبة على السلوك الخاطئ

(٢) أن نفسح المجال لهذه النتائج لتؤدى دورها.

مزايا هاتين الطريقتين : (النتائج الطبيعية والمنطقية)

(١) تعمـل بمفـردها والخبرة التي يكتسبها الطفل من هذه الطريقة أعظم معلم.

(٢) تجنبنا الدخول في معركة صراع مع الأطفال فالوالدين يجبروا الطفل على تغيير سلوكه والطفل يقاوم لكن النتائج الطبيعية والمنطقية ترفع هذا الصراع.

(٣) تعلم الطفل تحمل المسئولية:

تدخـل الوالدين قد يثبت السلطة الأبوية لكنه لا يعلم الأطفال كيفية التصرف في المجالات الأخرى في الحياة.

بـل إنـنا ككـبار كثيراً ما نتعلم من النتائج المنطقية والطبيعية فعندما نخطئ لا نُضرب لكننا نفقد شيئاً جيداً أو نعاني من بعض النتائج السلبية. فمثلاً عندما أكسر إشارة المرور لا يضربني أحد وربما لا يوبخني ولكنى أعانى عند دفع غرامه كسر الإشارة.

(٤) تزيل التوتر والصراخ لأنها تعمل بهدوء.

(٧) العقاب البدني

ربما أحتفظ بالعقاب البدني كآخر وسيلة استخدمها حيث أن باقى الوسائل المشار إليها سابقاً لتشكيل سلوك الطفل تساعده على النمو... على التهذب... وعلى النضج العاطفي. وأهم عيب للعقاب البدني هو أن الطفل في هذه الحالة يتعود على الإعتماد على الآخرين في توجيهه. وبالرغم من ضرورة العقاب البدني في بعض الأحيان إلا أنه لا يخدم عملية التدريب والتهذيب كثيراً.

ولأهمية هذا الموضوع سوف أخصص له فصلاً مستقلاً لمناقشة كل أبعاد الأمر.

الفصل العاشر
التقويم والعقاب

من المهم أن نفرق جيداً بين التقويم والعقاب لأننا في مرات كثيرة نعاقب أطفالنا لخطئهم ناسين أن هذا العقاب لن يُعلّم الطفل التصرف الصحيح. لكن لابد للعقاب من أن يحوي أيضاً على التقويم والتعليم والتدريب .

الله لا يعاملنا بالعقاب فقط لكنه يدربنا حتى ننمو . والفرق الجوهرى بين التقويم والعقاب هو أن التقويم والتدريب ليس هو وسيلة العدالة. إن العدالة قد أخذت مجراها بموت المسيح عن كافة خطايانا ولكن التقويم والتدريب يهدف إلى نمو أولاده.

التقويم أو التلمذة هو تدريب بهدف تصحيح الأخطاء والتقويم لا يضع العقاب أو المجازاة كهدف. في حين أن هدف العقاب هو العدالة وليس التصحيح أو النمو.

ويلخص الجدول الآتي الفرق بين العقاب والتقويم:

	العقاب	*التقويم*
الهدف	المجازاة عن الخطأ	التدريب لتصحيح الخطأ
التركيز	أخطاء الماضي	الأفعال الصحيحة في المستقبل

الاتجاه	الغضب وخيبة الأمل	المحبة والإهتمام
النتائج العاطفية للطفل	الخوف والشعور بالذنب	الأمان

إن الرب لا يقول أنا غاضب لأنك أخطأت وبالتالي فسوف أنْزِل العقاب بك، ولكن الرب بدلاً من ذلك يقول لقد أخطأت ولكن غضبى عن خطيتك وجهته للصليب. إنى أحبك لأنك ابني ولأنك ابني سوف أعلمك أن لا تخطئ ثانية.

لكننا لا نعامل أطفالنا بالمثل. فكم من المرات ربما ضربنا أولادنا لأننا نريدهم دفع ثمن أخطائهم.

ولنتخيل أم كانت تجهز المنزل لحضور عدد من الضيوف ثم قام أحد أبنائها بسكب اللبن على منضدة الطعام. المتوقع أن تصرخ فيه الأم. لقد انتهيت من أعداد الطعام لتوى.أذهب لحجرتك ولا ترنى وجهك.

لقد غضبت الأم لعدم طاعة الإبن بعدم الإقتراب من المائدة. إنه يسبب لها مزيد من التعب وبإرسال الطفل لحجرته يدرك أن الأم تعاقبه لغضبها وهكذا تنتاب الطفل حالة من الخوف.

والعقاب أو الخوف من العقاب قد ينتج سلوكاً مطلوباً لبعض الوقت ولكن النتيجة سيئة للغاية. فمنطق الطفل يقول: "سوف أصنع ما تريد لأنك سوف تضربنى بقسوة إذ لم أصنعه." إن الإبن هنا يسلك هذا السلوك بدافع الخوف أولاً وأخيراً.

والـرب يحـب أولاده ويطلـب الطاعـة منهم ويحذرهم من أخطائهم لكنه يقومهم ويدربهم لتصحيح الخطأ.

"لا خـوف في المحبة" المحبة الكاملة تطرد الخوف خارجاً. (١يو٤: ١٦-١٨)

هذه الرسالة توضح إلى حد كبير أن الرب لا يقوم أبناءه بدافع الخوف

إننا في مرات كثيرة نعلم أولادنا خطأً. أنه لابد أن يطيعوا لأن الرب يرى كل أفعالهم كما تقول الترنيمة التي نعلمها لأطفالنا:

خلي بالك يا عيني شايفة إيه

يوجد إله شايف كل الظروف

خلي بالك يا عيني شايفة إيه

أى بـدلاً مـن أن نعلم أولادنا الطاعة له وللوالدين بدافع المحبة لأنه إلـه محـب نعـلمهم أن يتعـلموا الطاعـة لأنـه يجلـس يراقب ويترصد بكل خطأ يخطئونه.

وربما يرجع السبب في ذلك أننا نحن الكبار – الوالدين – قد تعلمنا مـنذ الصغر أن كل خطأ لابد أن يقابله عقاب. ولذا فإننا نتوقع العقاب أو الشعور بالديـنونة. وبـالفعل نرغب في أن يوقع علينا العقاب حتى يرفع عنا ذلك الشعور البغيض بالذنب.

وننسـى أن الـرب لا يرصد أخطائنا أو يجمعها لنا، لأنه طرحها في بحر النسيان.

نحتاج نحن الوالدين لفترة حتى نتعلم أن الرب يريد لنا حياة مقدسة وأن طريقته لهذه الحياة ليست العقاب لكنها التدريب، وأن دافعه للتدريب هو المحبة وليس الخوف.

ورغم معرفتنا العقلية بأن الله محبة لكننا في مرات كثيرة لا نستطيع مقاومة ذلك الشعور البغيض بأننا سيئين وأننا نستحق العقاب.

كم نحتاج لاستنارة روحية لندرك أن الله يقبلنا كما نحن وكم نحتاج للتدريب لندرك أنه يريد نمونا ليدربنا بمحبة حتى ينعكس هذا على علاقتنا بأولادنا.

كيف نُعلِّم أولادنا الإحترام دون أن يشملهم الإحساس بالخوف:

لكي نفهم خطة الله عن التدريب لابد أن نعي جيداً ماذا يعنى الإحترام وماذا يعنى الخوف؟

في الكتاب المقدس يوجد معنيان لكلمة خوف:

الأول: يعنى نوع من القلق والضيق والرهبة.

الثاني: يعنى اتجاه ايجابى للإحترام والتوقير. (أم٩: ١٠، أم١٩: ٢٣)

"بدء الحكمة مخافة الرب ومعرفة القدوس فهم"

"مخافة الرب للحياة"

وعلى الطفل أن يثق ويحترم والديه لكنه يجب ألا يخاف منهما.

وللأسف فإن بعض الوالدين – لا سيما المضطربين منهم – يظهروا قوتهم من خلال العقاب القاسي للطفل، ويعتقدوا أنهم بذلك يعلمونه الطاعة والإحترام، لكنهم في الواقع يزودونه بمشاعر الخوف والرهبة.

فعندما نعاقب أولادنا ونحن في حالة من الغضب نزرع في أنفسهم نوعاً من الخوف ونقيم حاجزاً بيننا وبينهم. إنهم يُظهرون الطاعة ولكنهم يجدون من الصعب الإتصال بوالديهم.

والإحترام الواجب بالوالدين لابد أن يكسب من خلال المعيشة المحترمة. لا يمكن أن نكسب احترام أولادنا من خلال ممارسة القوة مع أولادنا السبيل الوحيد لكسب الإحترام هو أن تستمع لطفلك. إن كان متذمراً دعه يخبرك. فعندما تدعوه ليكشف مشاعره لك فأنت في الواقع تحترمه وعندما تحترم الطفل فسوف يقدم لك الإحترام بالتالي وليس معنى ذلك أن نطلق العنان للمشاعر. فتوجد بعض اللحظات التي يجب أن يتعلم ضبط مشاعره فيها.

لابد أن توجد علاقة بين الوالدين والإبن تسمح له بالكشف بما يجول بداخله وإذا عبر بطريقه جارحة يمكن تعليمه التعبير عما بداخله بطريقة لائقة.

أنضرب أم لا نضرب؟

في مرات يتساءل الوالِدان هل أضرب ابني أم لا؟

والحقيقة التي لا تنسى هى إننا مسئولون عن تربية وتهذيب وتقويم أبناءنا. الضرب أحد الوسائل ولكنى أعتقد أنه يجب أن يستخدم بحذر.

إن القضية ليست هل نضرب أو لا نضرب ولكن القضية هى متى نضرب وبأى طريقة؟

ولنسأل أنفسنا إلى أى مدى يكون العقاب البدني ضرورياً؟ لكي نجيب عن هذا السؤال دعنا نفكر: هل توجد طريقة أخرى بها يتعلم الطفل الدرس مثل النتائج الطبيعية أو المنطقية مثلاً؟ ولعله من الواضح أن الضرب غير مستحب وبالذات في حالة وجود نتائج معقولة مترتبة على سلوك ابني الخطأ.

فمثلاً لو أن هناك طفلاً فوضوياً يلعب مع أقرانه بطريقة غير لائقة وتحتاج إلى تقويم سلوكه الفوضوي فلن يجدى الضرب معه لأن الضرب غير مرتبط بهذا السلوك وسرعان ما ينسى الطفل الواقعة ويعود لنفس السلوك مرة أخرى ولكن حرمان الطفل من اللعب وبقائه في حجرته سوف يعلمه أنه عندما يلعب مع أقرانه لابد أن يلعب بطريقة مناسبة.

وحيث أنه من الواجب علينا ألا نضرب الطفل ونحن في حالة من الغضب علينا إذاً أن نبحث عن طريقة أخرى. فمن الأفضل ألا نعاقب الطفل مادمنا في حالة من التوتر.

وربما كان الطفل الصغير أكثر احتياجاً للضرب كوسيلة للتقويم عن الأكبر سناً ولكن تذكر أنه في نفس الوقت فإن عقاب المراهق عن طريق الضرب لن يجدى أبداً. ولعل أنسب سن لاستخدام الضرب كوسيلة للتقويم هو من سن ٤- ١٢ سنة فهو يعقل في هذا السن النتائج المترتبة على سوء سلوكه.

بعض الإحصائيات:

في إحصائية تمت بين عدد من الطلبة ذوى التقدير السليم لأنفسهم وبمقارنة طفولتهم ومنازلهم وُجِد الآتي:

(١) الطفل صاحب التقدير المتوازن لنفسه هو المحبوب والمقبول من والديه وأسرته أكثر من الطفل صاحب التقدير المنخفض لنفسه. لقد وُجد بأن محبة الوالدين حقيقية وليست كلمات أو تمثيل لقد وجد أن مثل هؤلاء الأطفال يدركون جيداً أنهم محل إعجاب وقبول والديهم.

(٢) الأطفال ذوى التقدير المتوازن جاءوا من بيوت مدققة في التربية والتلمذة والعكس صحيح فإن تساهل الوالدين في المجموعة الثانية أخرج أطفال يعوزهم الأمان (لأن الطفل يترجم التساهل بأنه لا أحد يهتم..!!)

ووجد أيضاً أن الشباب المعتمد على نفسه والناجح جاء من بيوت تقدر المسئولية.

(٣) وجد أن بيوت المجموعة المتوازنة في تقديرها لنفسها تتسم بالديمقراطية وبالإنفتاح. فحيث أرسيت حدود التصرفات ووضحت فإن حرية وانطلاق الطفل تتم بصورة أفضل.

وتشير هذه الدراسات إلى أن الأطفال ذوى التقدير المنخفض لأنفسهم هم أولئك الذين لا يسمح لهم بالكلام مثلاً على مائدة الطعام مع أسرهم في حين وجد أن أعلى الأطفال توازناً من كان يسمح لهم بالحديث ولكن في دورهم مما يعكس المحبة والإنضباط في نفس الوقت.

وقد تتساءل لماذا تفشل وسيلة الضرب في أغلب الأحيان؟

هل جربت تكرار ضرب الإبن بدون تغيير يذكر؟

(١) الإجابة تكمن في أن الطفل عندما يشعر بالحاجة للإهتمام قد يسلك سلوكاً غير صحيح ليشبع هذه الحاجة. لعل التدخل بالضرب لعلاج مثل ذلك السلوك يشجع الطفل أكثر لأننا مع الأسف لا نُعير الطفل أى اهتمام متى سلك سلوكاً جيداً.

(٢) سبب آخر لفشل الضرب هو أننا لا نطبقه في كل مرة سلك فيها الطفل سلوكاً غير سوي وبالتالي يعتقد الطفل أن هذا القانون قانون الضرب مطاط.

(٣) بل إنَّ الضرب عندما يكون بطريقة غير موجعة يكون مسلياً من وجهة نظر الطفل.

(٤) إن الضرب بكل تأكيد غير مجدي عندما نستخدمه ونحن في معركة للقوة مع أطفالنا ونحن في حالة من الغضب ونحن نحاول أن نظهر سلطاننا كوالدين.

كيف نضرب؟

قلنا أننا إذا كنا نستخدم الضرب كوسيلة للتقويم فلابد أن نتأكد أننا لا نضرب ونحن في حالة من الغضب. لأن الكثير من الوالدين يسرع لضرب أبنائهم وتكون وجهة نظره "أنه أغاظنى" أو "تصرفه أحرجنى" وبالفعل فنحن

كـثيراً ما نضرب أطفالنا لمجرد أنهم قدموا صورة غير مشرفة إنهم إنتاجنا ونحن نحـرص كـثيراً عـلى أن يبدو إنتاجنا أفضل ما يكون. والضرب بهذه الدوافع لن يجـدى كـثيراً في تغـيير السلوك وإن أحدث تغييراً في السلوك سيكون مصحوباً بحالـة مـن الخوف والفزع من الوالدين ولذا ينبغي أن نراعى أن الضرب أيضاً لا يكـون مهيـناً، فالمقصـود منه تقويم الطفل وليس إهانته. اللطم على الوجه وسيلة غـير مسـتحبة في الضـرب لأنها تشعر الطفل بالإهانة أو الركل مثلاً. لكن أغلب المختصين يرون أن الضرب على اليدين يحدث التأثير اللازم أعنى الموجع لتغيير السلوك لكنه غير مهين.

أخيراً لعله من الصواب أن نجيب على هذا السؤال:

هل العقاب يكسر نفس الطفل؟

مـن السـهل جـداً أن نكسـر نفـس الطفل بعدم الإحترام، بالإحتقار بالـتهديد بسـحب محبتنا له. وعلى الرغم من أن نفس الطفل هشة إلا أن إرادته صلبة ولذا فالمطلوب هو أن نشكل إراده الطفل وأن نترك نفسه صحيحة وهذا يتم بطلبات معقولة للطاعة لما ننتظره منه،

وحتى لا يتحطم الطفل عاطفياً:

(١) حـدد للطفل الحدود التي تنتظرها منه، وقبل أن يكسر القانون تأكد أنه يعرفه جيداً وأنه يعرف ما تتوقعه منه ولماذا.

(٢) عـندما يتحدى السلطة بعدم الطاعة فإن الطفل يتوقع منك التدخل. فلا تخيب أمله.

(٣) لا تضرب الطفل من أجل خطأ طفولي أو حادثة لا تضربه قبل أن يتعلم الدرس.

(٤) بعد العقاب لابد أن تؤكد له محبتك وقبولك.

(٥) عرفه فيما بعد – بعد أن يهدأ – لماذا ضربته حتى يتحاشى ذلك فيما بعد.

(٦) الضرب للطفل لابد أن يتوقف عند سن العاشرة. لا تضرب مراهقاً مهما كانت الأسباب إنها إهانة بالغة من وجة نظره.

ويردد بعض العلماء أن الضرب قد يجعل الطفل عنيفاً ولكن دعني أقدم لكَ هذا التشبيه: لو أن طفلك دفع يده للفرن الساخن ماذا يحدث؟ بالطبع سوف يُلْسَع. وهذه اللسعة لن تجعله عنيفاً لأن الفرن لسعه. لقد تعلم في الحقيقة درساً هاماً من الألم وبالمثل عندما يسقط من على كرسي أو غيره فسوف يتعلم أن يكون حذراً. إن مثل هذه الأشياء لا تحطم فكرة الطفل عن نفسه وتقديره لها. وبالمثل فإن الضرب المناسب من والدين محبين يقوم بنفس المهمة. إن الضرب يخبر الطفل أنه يوجد خطر لابد أن يتجنبه مثل الفرن الساخن.

لا توجد طريقة أفضل للتلمذة من الضرب في حالة التحدي المتعمَّد من جانب الطفل لسلطان الوالدين، لا سيما إذا كان هذا الأمر يمثل خطراً جسيماً على حياته (مثل شرب الدواء أو عبور الطريق بإهمال).

الفصل الحادي عشر
تربية الطفل بتوجيهات سليمة نحو نفسه

بناء صورة متوازنة للطفل عن نفسه

إن صـورة الطفل عن نفسه أو فكرته عن نفسه هى صورة هشة قابلة للتشكيل يمكننا أن نشكلها خلال السنين الأولى من عمره.

ولعـل جرعة صغيرة متكررة من عبارة "أنت ولد وحش" ... "غبي" ... "مـا بـتفهمش"، يمكن أن تنتج لنا طفلاً كل فكرته عن نفسه أنه غير مقبول لأنه يثق في تقديرنا بل إنه يستمد هذا التقدير منا.

على أننا في نفس الوقت يمكننا أن نجعل الطفل يشعر بقيمته عندما نظهر له محبة وقبول غير مشروطين بأدائه.

وعـندما نـؤدب أطفالـنا ينبغي أن نؤدبهم لا أن نهاجم شخصياتهم. فلعلـه مـن الأفضل أن نقول "هذا التصرف خطأ" أو "ليس أنت الذي تصنع هذا الأمـر" أو "أنه من المحزن أن يتم الأمر بهذه الطريقة" عن أن نقول: "أنت طفل وحش.. غبي.. قذر.. مهمل.. إلخ".

لابـد أن تركـز عـلى التصرف الخطأ ولـيس عـلى إحساس الطفل بقيمته.

بناء أمن وثقة الطفل بنفسه من خلال:

إرساء القواعد اللازمة:

يحتاج الطفل لإرشاد والديه حتى يشعر بالأمان، والكتاب المقدس يعلن صراحة أننا يجب أن نضع حدوداً لتصرفات أولادنا ولكن مثل هذه الحدود يجب أن تتسم بالحكمة.

وقد يسأل الإبن "لما ينبغي عليَّ أن أفعل هذا الأمر"، وتكون إجابة الأم "لأنى قلت كده". وهذه الإجابة بالتأكيد غير صحيحة حيث ينبغي علينا أن نضع القواعد لا على أساس أهوائنا ورغباتنا وعاداتنا. بل على أساس منطقي نكون مستعدين لمناقشته مع أولادنا.

وحذارِ من القواعد والمحاذير الكثيرة لأولادنا لأنها تسبب العديد من المشاكل:-

أولها: عدم استطاعة أولادنا طاعتها.

ثانياً: الإحباط لأنَّ أولادنا سيشعروا بأنهم لن يستطيعوا أن يكونوا عند حسن ظن والديهم.

والبعض من أطفالنا يقرر التمرد. فحيث أنهم تعبوا من المحاولات لإرضائنا فإنهم يضربون عرض الحائط بكل المحاذير ولكي تتلاشى مثل هذه التفاعلات من أولادنا ينبغي أن نقلل مما نضعه من قواعد أو محاذير أو ممنوعات إلى أقل مستوى.

وإذا أردنـا أن يشـعر أولادنا بمحبتنا فلابد أن يكون لدينا الإستعداد للمناقشة لنفهمهم أسباب هذه المحاذير والقواعد. إن طفلي وطفلك لديه كل الحق في الإجابة عن أية أسئلة متى كانت أسئلة أمينة.

وربما تعود كثرة الأسئلة لدى الأطفال لحاجتهم للإحساس بالأمان.

زيادة إحساس الطفل بالانتماء بإيجاد نشاط بديل:

في كـل مـرة تحـرم طفلك فيها من عمل أو نشاط يجب أن توجِد له نشاطاً بديلاً.

وكـثيراً مـا تصـرخ الأمهات "لا تلعب في الحجرة لأني انتهيت من نظافتها لتوى" "لا تذهب هنا لا تصنع ضوضاء لا لا لا ...."

وهكـذا يقـابل الطفل باحباط قد يدفعه للخمول فقد يظن في نفسه أن والداه يريدان أن يحرماه من أية متعة. إنهما لا يهتما بي. والسلوك السيئ للطفل قد يكون علامة إنذار لنا عندما لا يجد الطفل شيئاً ليعمله.

وبعـض الأمهـات تسـتغل التلـيفزيون لشغل وقت الأطفال وبلا شك توجـد بـرامج جـيدة في التلـيفزيون والأوقات التي يقضيها الطفل أمام التليفزيون تعطـي الأم فرصه لقضاء عملها ولكن هذا الأمر ينبغي أن يخضع لتوجيه الوالدين في نوعية البرامج التي يراها الصغار لسرعة تأثر الأطفال بالمفاهيم الخاطئة.

ويمكـن لـلأم أن تفرغ طاقة الطفل في لعب بنَّاء بأن تسمح له باللعب خـارج بـاب الشـقة مثلاً فتختفي العديد من السلوكيات الخاطئة للطفل. إن بقاء الأطفـال مشـغولين لا يفيد الأم في إنجاز ما ورائها من عمل فقط ولكن الأطفال في

حاجة للتغير والحركة وينبغي أن نكون حساسين للأشياء التي تجذب انتباههم.

بناء الإحساس بالثقة في النفس من خلال المدح:

يقدم لنا الطب النفسي العديد من القصص التي توضح الدور الذي يمكن أن نلعبه في حياة أولادنا، فقد روى أحد الأطباء النفسيين عن مشكلة سيدة جاءت إليه وهى مفتقرة للثقة بنفسها، وبعد عدة جلسات اكتشف الطبيب أن والد هذه السيدة كان من الشخصيات التي يصعب إرضائها. وفي إحدى المرات أثناء غياب والدتها عن المنزل قامت بإعداد نوع من الكعك الذي يحبه والداها وعندما عاد من عمله ورأى ما عملت سأل من صنع هذا وبكل فخر قالت له الفتاة أنا التي صنعتها فما كان منه إلا إنه أخذ الكعكه وألقاها في القمامة لأنه يعلم جيداً أنها لا تتقن صناعة شئ ما.

إن كل نقد نوجهه لأولادنا يشوه فكرتهم عن أنفسهم، وكل مدح يبنى داخلهم إحساسهم بالثقة ونحن كثيراً ما نحطم أحاسيس أطفالنا عن طريق ما تسميه النقد البنّاء معتقدين خطأً أننا إذا نجحنا في إبراز أخطائه فسوف يحسنّ أدائه. وقد تنجح هذه الطريقة مع البعض ولكن ماذا عن ثقته بنفسه؟

وقد نتساءل لماذا؟، بالرغم من تأكدنا من محبة الوالدين لأولادهم إلا أننا نراهم عادة ناقدين لسلوك أولادهم.

السبب ببساطة يقع أساساً على فكرة الآباء عن أنفسهم. إننا في حاجة كبيرة لأن نفتخر بأنفسنا كآباء لأننا أردنا أن يعتقد الكل حولنا أننا آباء صالحون والوسيلة الوحيدة لذلك هى أبنائنا. إنهم إنتاجنا.. عنواننا.

إن الطفل الذكي المتفوق الذي سلك سلوكاً جيداً هو واجهة لوالديه، في حين أن الطفل المتوسط يحطم فكرة الوالدين عن أنفسهم. ولذا نحاول كوالدين أن نحسّن سلوك أولادنا والنقد هو أحد أسلحتنا. وأمام نقد الوالدين قد يتوقف الطفل تماماً لاقتناعه بعدم قدرته أن يصل إلى إرضاء والديه. وقد يحسن من أدائه لكنه سوف يدرك تماماً أن والديه لن يحبونه ما لم يحقق توقعاتهم. وهكذا تُذبح نفسية الطفل من أجل أداء مرحلي جيد.

من المهم أن يكون لدى الطفل دوافع ومشاعر جيدة تدفعه للأداء الجيد لأن السلوك الجيد سيتبع المشاعر الجيدة وليس العكس، وربما مائة أطراء لن تمحو أثر نقد لاذع واحد.

إننا نحتاج لأن نعضد – نشجع – نمدح ... مجاناً.

بناء الإحساس بالقيمة من خلال إظهار الإحترام:

كثيراً ما نعتقد أن الكبار هم الجديرون بالإحترام، ورغم محبتنا لأولادنا إلا إنهم سيكونوا مهمين عندما يكبروا.

في حين أن الله لا يعاملنا هكذا. وكلما عاملنا أولادنا كمخلوقات لها قيمة كلما ساعدناهم لبناء فكرة سليمة نحو نفوسهم.

وربما تشجيع الطفل على اختيار ملابسه عند الشراء بعد توضيح المزايا والعيوب للمعروض أمامه يشعره بالقيمة وإن له وجود وأنه يستطيع أن يختار.

تعليم الثقة والإنتماء للطفل بإسناد بعض المسئوليات:

كل إنسان يحتاج لأن يشعر بالأهمية. وإحدى الوسائل التي تشعر أطفالنا بالأهمية هى أن نسند إليهم بعض المسئوليات التي يمكنهم أداؤها، مما يزيد من إحساسهم بالقيمة والثقة والإنتماء. وربما إشراك الطفل في حمل بعض الأشياء الخفيفة مع والده يشعره بأن له دور من خلال هذه الأسرة. ومن المهم ونحن نسند لأطفالنا بعض المسئوليات أن نراعى قدرتهم على إتمامها حتى لا يسبب عدم إتمامها في إحداث إحباط للطفل.

بناء الثقة من خلال تنمية إحساسه بفرديته:

يحتاج أولادنا أن نشجعهم لإبداء أفكارهم المستقلة وتشجعهم لأخذ خطوات على طريق المسئولية حتى يزداد إحساسه بالثقة في نفسه، وعندما نحترم ونقدر أولادنا فلن يلجأوا للسلوك الخاطئ، لأن كل ما يلزمهم من أحاسيس سيحصلوا عليها بمعاملتهم بإحترام.

إلا أن بعض الوالدين يغالون في دورها في حياة أولادها.. فالبعض يعتقد أنه لابد أن يلعب دوراً أكبر في حياة طفله، وهكذا: يضع له المقاييس، والقرارات يعرفه مكانه ودوره، وبهذه الطريقة يقلص من إحساسه بنفسه... وقد يكتم الطفل هذه الأحاسيس وفجأة يتمرد في مرحلة المراهقة.

ويعتقد بعض الأهل أنه بالحماية الزائدة والتدخل في حياة طفلهم أنهم بذلك يحمونه من الألم الذي يمكن أن يواجهه خارج المنزل ناسين أن مثل

هذا التدخل والحماية الزائدة تمنع الطفل من النمو. إن هذا الألم وهذه الخبرة مطلوبة لنمو الطفل تماماً مثل الشجرة المزروعة في بيئة ممطرة، فقد وُجِد أنها ليست مضطرة لأن تضرب جذورها في الأرض بحثاً عن المياه وبالتالي فإنها لن تكون ثابتة في الأرض ويمكن أن تُقلع بسهولة عندما تهب عليها الرياح في حين أن الشجرة المزروعة في بيئة قاسية في الصحراء تكون مهدده ويمكنها أن تحيا عندما ترسل جذورها عميقة في الأرض بحثاً عن المياه وخلال هذا البحث تتثبت الشجرة وتصبح ثابتة راسخة قوية. هذا التشبيه هو ما يحدث مع أطفالنا تماماً.

هدم الإحساس بالقيمة من خلال إبراز دوافع الذنب:

"إنت مش مكسوف من نفسك" عبارة نرددها كثيراً كوالدين عندما نحاول أن نؤنب أطفالنا لنحسن أدائهم، في حين أننا بذلك نحطم تقديرهم لأنفسهم.

إننا نحتاج لأن نأخذ بأيدى أولادنا لنشجعهم، ندفعهم، نمدحهم... وهكذا نضع أقدامهم على طريق المسئولية وبداخلهم صورة متوازنة عن أنفسهم.

الفصل الثاني عشر
القيمة الحقيقية

حتماً لقد أدركنا قيم العالم البالية للتقدير الإنساني حيث يمجد الجمال والذكاء. لكن ترى ما هو موقفنا كآباء تجاه مثل هذه القيم؟

هل فكرنا كآباء ما سوف نعلمه لأبنائنا من قيم؟ أم أننا نسير مع التيار؟

حقاً إنها معضلة فبينما ندرك كوالدين عدم عدالة قيم المجتمع – أعنى الجمال والذكاء – فإننا ندرك في نفس الوقت أن أبنائنا عليهم أن يصارعوا في هذا العالم الذي يمجد هذه القيم.

تُرى: كيف يتصرف الوالدان؟ هل يساعد الأب ابنه ليصبح جذاباً بقدر ما يستطيع؟ هل يدفع ابنه المتوسط دراسياً ليتفوق؟ أم أنَّ عليه أن ينكر هذه القيم راجياً أن طفله قد يتعلم أن يحيا في هذا العالم بما لديه من تقصيرات؟

وربما يكون سبب هذه المعضلة أنه بالرغم من إدراكى لعدم عدالة قيم المجتمع وإدراكي بأن طفلي لن يتمكن من تغيير هذه القيم. ألا أننى أجد نفسي مضطراً لأن أعاونه ليقتحم هذا العالم قدر استطاعته وهكذا أجد نفسي في حيرة من أمرى. ماذا أفعل؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال دعنى أوجه سؤالاً آخر جديراً بنا

كآباء أن نجيب عليه:

ما هي القيمة الموجودة في بيتك؟

فممـا لا شـك فيه أننا نحن الآباء إفراز لقيمة المجتمع الذي نعيش فـيه. وقـد تعلمـنا منذ الصغر أن نمجد الجمال والذكاء وكذا تعلم آبائنا وأجدادنا وأعمامنا وأقاربنا.

وكلـنا كوالديـن نـريد طفـلاً متمـيزاً يـبهر العـالم. طفلاً غير عادى. والحقيقة التي يجب ألا تغيب عن أذهاننا أننا نواجه عدواً هو في الحقيقة أنفسنا التي تقودنا في طريق خاطئ...!

بـل لعـلى لا أكـون مـبالغاً عـندما أقـول أن إحساسنا كآباء بالنقص يجعـل مـن الصـعب علـينا أن نقـبل الأقـل من الكمال من أطفالنا أن هذا الطفل الناقص يمثل عجزنا.

وهكـذا فـإن قبولـنا لأطفالـنا يتطلب منا قدراً كبيراً من النضج حتى نفـتح صـدورنا للطفـل الدمـيم أو الأقـل ذكـاء مؤكدين له محبتنا وإدراكنا لقيمته كإنسان.

إذن فـالخطوة الأولى تنحصـر فيـنا نحـن الآبـاء، وهـى تتطلـب أن نفحـص مشـاعرنا الخاصـة وأن يكون لدينا الاستعداد للكشف عن مشاعر الذنب الدفينة فينا. ولعلى أتجرأ فأسألك هذا السؤال:

هل أنت مصاب بالإحباط من طفلك لأنه مجرد طفل عادى متوسط؟

هل ترفضه في بعض الأحيان لحاجته للوسامة ؟

هل تتهمه بالغباء ؟

هل كنت تريده ولداً بدلاً من أن يكون بنتاً ؟

هل تندم لأجل الحرية التي فقدتها بمجيئه للأسرة ؟

حقيقة من الصعب علينا أن نُعلم الطفل أن يحترم ذاته في الوقت الذي لا نحبه فيه لأسباب من اختراعنا.

وهكذا بفحص مشاعرنا الخاصة بمساعدة روح الله لنا قد نستطيع أن نُوجِد مكاناً في قلوبنا للطفل الغير كامل. ولنسأل أنفسنا بعد كل هذا، من أين لنا هذا الحق الذي به نطلب طفلاً عبقرياً في حين أننا آباء وأمهات عاديين ؟

إن مساحة كبيرة من نظرة الطفل لنفسه تنبع من الطريق التي يظن أننا نراه بها.

إنه حساس جداً لكل عبارة تتعلق بقيمته من وجة نظرك حتى الأشياء الغير منطوقة، بل لعله يلمس الأشياء الغير مدركة منا لأنها في عقلنا اللاواعى. يحكى عن زوجة كانت ترفض بعض طباع زوجها ولم تقتنع بأن تقبله كما هو، ولحظها العاثر جاء أحد أبنائها وبه بعضاً من هذه الطباع مما جعل الزوجة الأم دون أن تدرى ترفض هذا الإبن لسبب لا تدركه.

والعديد من الأطفال يدركون محبة والديهم ولكن قلة منهم يدركون كم هي قيمتهم لدى والديهم. فنحن كآباء كثيراً ما نخجل من أطفالنا ونحاول تفسير إجاباتهم، وأحياناً نطلق ضحكة عصبية عالية عند فشلهم. ولعل الطفل يدرك دون كلام ما يدور داخلنا عندما نحاول أن نصفف شعره بعصبية استعداداً

للقاء هام أو مناسبة كبيرة.

وعندما يقضى طفلي أسبوعاً أو أسبوعين بعيداً عن المنزل فإننا كثيراً ما نعطيه من النصائح حتى لا يبدو غبياً أمام الآخرين ومثل هذه التصرفات هي عبارة عن إشارات يفهم منها الطفل عدم ثقتنا فيه كآباء ومدى حرصنا على إظهار إنتاجنا بصورة جيدة.

وهو يدرك كما قلت محبة الوالدين ألا أنه يعتقد أن الثقة والإعجاب هو من نصيب الآخرين بعيداً عن منزله. إذن فمحبة الطفل هى نصف الطريق لبناء فكرة سليمة للطفل عن نفسه ولكن الإحترام والإعجاب لابد أن يوضعا في الإعتبار.

وقد يشك الطفل في قيمته بالرغم من إحاطته بمحبه والديه للإعتبارات التالية:

(١) عدم حساسية الوالدين:

إذا كان هناك درساً واحداً يحب أن يتعلمه الوالدين فهو أن ينظرا لما يقولاه في محضر أطفالهم. وغالباً عندما يدور الحديث عن الطفل في محضر الكبار فإن أذنيه تكبران عشرة أقدام حتى يستطيع أن يسمع كل ما يتعلق بأخطائه أو ما يتعلق بقيمته.

وكثيراً من الأمهات دون أن تدرى تتحدث عن أطفالها بطريقة يفهمها الطفل خطأ كأن تقول مثلاً "عندما ولد طفلي كان يوم نحس، فكم تألمت ولم يسعفنى الطبيب لكنه فشل في علاج ابني مما أثر عليه" وهكذا دون أن تدرى

الأم تُسِمع الطفل حديثاً يفهمه بهذه الطريقة ": إنني طفل غير مرغوب فيه. أسبب الألم للآخرين. فشل الطبيب في علاجي مما سبب تقصيراً في حياتي".

وحساسية الآباء والمدرسين ينبغي أن تكون عالية عندما يتعلق الأمر بشكل وجاذبية الطفل أو ذكائه فإن الشكل والذكاء هما النقطتان الضعيفتان في حياة أى طفل.

(٢) الإرهاق وعامل الوقت:

إننا كآباء وأمهات لدينا مشاكلنا الخاصة التي تتعلق بالإرهاق وضغط الوقت في إحصائية تمت بين عدد من الأمهات عن أهم أسباب الإكتئاب أوضحت الإحصائية أن السبب يرجع في نصف العينة إلى الإرهاق وضغط عامل الوقت. ترى من هو الخاسر أمام هذا السباق سباق الزمن والتعب؟ إنه الطفل الصغير الذي يفتقد أباه طوال اليوم، وربما يطلب أن يلعب معه بعد يوم عمل وتعب فيكون رد فعل الأب هو أنه مرهق ومشغول ولابد له من الراحة حتى يواجه عمل الغد.

لابد لنا أن نضع أطفالنا في الحسبان وسط أرض هذه الحياة. لابد أن نوجدهم على خريطة الوقت في اليوم المزدحم.

إن مثل هذه الحياة المزدحمة تسبب إرهاقاً والإرهاق يسبب توتراً والتوتر يمكن أن يفهم من جانب الطفل بأنه غير مهم وغير مطلوب لوالديه.

(٣) مشاعر الذنب:

مهمـة الأبـوة والأمومـةهى إحـدى المهـام المنـتجة للشـعور بالذنب. فالصراع بين مطالب أطفالنا ومسئولياتنا كثيراً ما يشعرنا بالذنب تجاههم.وحيث أنه لا يوجد إنسان يستطيع أن يؤدى عمله كاملاً فإننا نتعرض للسؤال: هل قمنا بواجبنا كأباء على ما يرام؟ هل علمت طفلي ما ينبغي؟ هل كان انفعالي لأخطائه أكثر من اللازم؟ هل سببت له المرض بإهمالى له؟ هل ما حدث له نتيجة خطئى؟ هل كررت نفس الخطأ الذي كنت به أدين والدى؟

ومشـاعر الذنـب يمكن أن تحطم العلاقة الصحيحة بين الوالدين والأبناء فقد نفقد مشاعر الأبوة البهيجة بتحويل مسئولية تربية الأطفال إلى مهمة مؤلمة. أو يمكـن أن تؤثر في الطريقة التي يتعامل بها الآباء مع الأطفال ويصبح الحل المريح لمشاعر الذنب هو تلبية جميع طلبات الطفل سواء كان يحتاجها أم لا.

والسـبيل الوحـيد لمواجـه مشـاعر الذنب هو مواجـهتها واستخدامها كحافز للتغيير كما يقول د.وليم جلوسر Dr. William Glosser "إن مشاعر الذنـب عاطفة قيمة تعطى الطاقة والقوة للتحسن والتغيير" وهكذا بمناقشة مشاعر الذنـب بـين الوالدين يمكن معالجة هذا الأمر تذكر أنه لا يوجد فينا من يستطيع أن يكون أباً كاملاً أو أماً كاملة.

(٤) منافسة المحبة:

عـندما يولد الطفل الثاني فإن الطفل الأول يشعر بأن هناك من سرق الكاميرا منه وهكذا يسلك سلوكاً قد لا تستطيع أن تفسره، وأفضل أسلوب لعلاج

هذا الأمر:-

(أ) وضح للطفل مشاعره أو أحضرها للنور فعندما يسلك سلوكاً غريباً سخيفاً أمام الآخرين ليضحكهم مثلاً عليك أن تضمه بين يديك وأن تفهمه أن ما يحتاجه هو الإهتمام وبالتدريج سيعلم الطفل عندما يمر بمثل هذه المشاعر، أَنَّ ما يحتاجه هو الإهتمام ويستطيع أن يطلبه منك وهكذا يترجم مشاعره لأفعال تساعده أن يفهم نفسه بطريقة أفضل.

(ب) لا تشجع أى سلوك غير اجتماعى أن يستمر.

(ج) قابل احتياجات الطفل بطريقة تشعره أنه أكبر سناً. تحدث إليه. إن من هم أصغر منه يصنعون كذا وكذا أما هو فإنه جدير بكذا وكذا دعه يشارك في العناية بالطفل الصغير حتى يشعر أنه جزء من العائلة.

نعود مرة أخرى للسؤال الأول ترى ماذا نفعل كوالدين أمام ادراكنا لعدم عدالة قيم المجتمع التي يحيا فيها الطفل وفي نفس الوقت اضطرارنا للمعاونه ليقتحم هذا العالم قدر استطاعته. إنها حقاً مشكلة ؟

ولو أنَّ مظهر طفلي متواضع فهو في نظرى جميل ولو أنه متأخر دراسياً في دراسته علىّ أن أعاونه ليتفوق في مجال آخر. إننا - أعنى أنا وطفلي - شريكان في هذه الحرب.

وعلىّ أن أراعى الآتي في هذه الحرب. ينبغي علىّ أن أعاون طفلي ليصارع في هذا العالم علىّ أيضاً أن أعلمه أن قيم هذا العالم هى قيم بالية. ولكي أستطيع أن أفهمه هذا التضارب فإننى أحتاج لقدر كبير من الحكمة فبينما علىّ

أن أشجع ابنتى لتهذب شعرها فعلىّ في نفس الوقت أن أعلمها أن الجمال قيمة زائلة، المفتاح يجب أن يعمل مبكراً لأعلم ابنى القيمة الحقيقية التي هى التكريس للرب... المحبة للجميع... الرحمة... الحق.

وعندئذ يصبح الجمال والذكاء جزءاً من أصول اللعبة التي يجب أن يلعبها فحيث أن عالمنا هو الملعب فإننا لا يمكن أن نجهل قواعد اللعب علينا أنا وابنى أن نتقن هذه القواعد مع الإدراك تماماً أنها ليست هى القيمة التي يمكن أن نعلق حياتنا عليها.

وقد يرفض طفلي المنافسة عندما يجد أنه سيأخذ المكان الثاني بدلاً من الأول. والأفضل في مثل هذه الحالة البحث عن مجالات أخرى للتفوق ولكنه من الحكمة بالنسبة لنا نحن الوالدين أن نقبل شيئاً أقل من الكمال بالنسبة لأطفالنا حتى لا تهتز صورتهم أمام أنفسهم.

إن المساهمة الفعالة التي يمكن للآباء أن يعملوها مع أبنائهم هى أن يوصلوا إليهم إيماناً أصيلاً بالرب. وكم سيكون مشبعاً للنفس أكثر من إدراك أن خالق هذا الكون مستعد لأن يقيم علاقة خاصة مع ابنى. أى أنه يُقَدّرنى أكثر من أى شئ في العالم. وأنه يفهم مخاوفي وضعفى... وأنه يقدم لى محبة خالصة... وأن ابنه الوحيد قدم حياته لى ليغيرها من الفراغ إلى الإمتلاء ومن المرارة إلى السرور حيث أنظر إلى عجزى الحالي نظرة مختلفة راجياً أن هذا العجز سيأتى يوماً ما ويرفع.

إنه تقدير النفس في غناه... ليس بحسب مقاييس العالم والمجتمع بل بحسب نظرة الخالق المحب.

والإيمان المسيحى هو الوسيلة الوحيدة التي يمكن بها أن ننقذ أنفسنا من مصيدة النفس... ذلك السيد المتسلط الذي يمكن أن يُشل ضحية عندما لا يشعر بالإشباع، فعلى عكس الرغبات الجسدية مثل الجوع والعطش والجنس. فإن الحاجة للتقدير عندما لا نستطيع إشباعها فإنها تسيطر على حياتنا.

ولعل التاريخ يذكرنا بأكثر الشخصيات تعطشاً للدماء أمثال جوزيف ستالين وأدولف هتلر، إن ستالين عندما ازدادت قوته في روسيا كان يطلب مزيداً من الخضوع لأتباعه. وقام بنشر صوره وتماثيله وأطلق اسمه على مئات الشوارع. وأى إنسان كان يعترض على إرادته يختفى من على وجه الأرض ولعل أكثر الأمثلة على طغيان ذاته. إنه اغتال كل من عاصروه في الصبا حتى يستطيع أن يعيد كتابة تاريخه دون شاهد معترض على ما يكتب.

لكن الإيمان المسيحي يمكن أن يحررنا من طغيان الذات حيث يسلط الضوء على الآخرين قبل أن يسلطه علينا، بل ويقيس قيمة الإنسان على مقياس آخر... إن المسيح لم يقدر الجمال والذكاء كأساس للتقدير بل على العكس... لقد أدان مثل هذه المقاييس (لو١٦ : ١٥) :

"لكن الله يعرف قلوبكم. إن المستعلي عند الناس هو رجس قدام الله"

الجمال، الذكاء مستعلى عند الناس لكنهما رجس قدام الله.

هل ندرك تلك القيمة الحقيقة التي يطلبها الرب حتى نستطيع أن نوصلها لأطفالنا؟.

المراجع

- James Dobson, Hide or seck 1979
- Narramore, You`re Someone Special 1978
- Naramore, Help I` am a parent. 1971
- E. Wagner, the sensation of Being somebody 1975

- بول تورفين: اسرارك ١٩٩١
- اريك فروم: الإنسان بين الجوهر والمظهر ١٩٨٩
- جوزيف صابر، رامز عطالله : كيف تساعد الآخرين ١٩٨٩

إصدارات مكتبة المنار

السعر	الكتاب	
٨,٠٠	هل حقاً تكلم الله (طبعة ثانية)	١-
٨,٠٠	جوني	٢-
٥,٠٠	انهض وحارب (نفذ)	٣-
٥,٠٠	لكي أربح (طبعة ثانية)	٤-
٤,٠٠	العلاقة الحميمة مع الله (نفذ)	٥-
٤,٠٠	رحلة في دروب الحياة	٦-
١٠,٠٠	أعماق نفسي (طبعة ثانية)	٧-
٦,٠٠	ترس الصلاة (نفذ)	٨-
٥,٠٠	لمسة رحمة لعالم جريح (نفذ)	٩-
٤,٠٠	نسل إبراهيم (جـ ١)	١٠-
٤,٠٠	نسل إبراهيم (جـ ٢)	١١-
٧,٠٠	الحرب الروحية	١٢-

١٣-	مع المسيح فوق الآلام	٣,٥٠
١٤-	روعة الحياة بالإيمان	٧,٠٠
١٥-	يشفي نفسي	٣,٠٠
١٦-	القيادة	٨,٠٠
١٧-	العهود السبعة	٨,٠٠
١٨-	كيف تنتصر على الخطية	٢,٥٠
١٩-	المحبة حينما تبدو مستحيلة	٥,٠٠
٢٠-	أين أجد الوقت	٦,٠٠
٢١-	اكتشاف المصير	٢,٥٠
٢٢-	العلاقات الصحيحة	٧,٠٠
٢٣-	سر القط الضاحك (أطفال)	١,٥٠
٢٤-	المسيح يحررك (كتيب)	٠,٧٥
٢٥-	أسرار النجاح الروحي	٦,٠٠
٢٦-	مصر المباركة	٧,٠٠
٢٧-	بالحقيقة أحرار	٨,٠٠

٢٨-	أسس خدمة الشفاء	٨,٠٠
٢٩-	حنان الآب	٢,٥٠
٣٠-	رؤية المدينة بعيني الله	٦,٠٠
٣١-	دعوة إلى حياة الطهر والنقاوة	٨,٠٠
٣٢-	لغات المحبة الخمس عند الأطفال	١٠,٠٠
٣٣-	بيلي جراهام	٥,٠٠
٣٤-	أخرج من مخبأك	١,٥٠
٣٥-	الديداخي - أي تعليم الرسل	٧,٠٠
٣٦-	الكنائس الشرقية وأوطانها جـ١	٨,٠٠
٣٧-	حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي	١٠,٠٠
٣٨-	التقليد الرسولي	٨,٠٠
٣٩-	الكنائس الشرقية القديمة جـ٣	٩,٠٠
٤٠-	سر البغبغاء الثرثار	١,٥٠
٤١-	المسيحيون الأوائل	١٠,٠٠
٤٢-	قصة ميلاد المسيح	١,٥٠

٤٣-	الانطلاقة	٦,٠٠
٤٤-	• **الأساس الكتابي للتربية في مرحلة الطفولة المبكرة** الكتيب الأول: دليل المعلم	
٤٥-	الكتيب الثاني: معرفة الله أبينا	
٤٦-	الكتيب الثالث: معرفة يسوع، الله معنا	
٤٧-	الكتيب الرابع: معرفة يسوع بواسطة الروح القدس	
٤٨-	الكتيب الخامس: التأديب الذي في البر (٥ كتب + ٣ شريط كاسيت + ٧ بوستر)	١٠٠,٠٠
٤٩-	نحو زواج أفضل	١٠,٠٠
٥٠-	المرشد إلى مجموعات الشركة الروحية	٦,٠٠
٥١-	إرشاد الصغار إلى الله	١٠,٠٠
٥٢-	إعادة بناء الحياة	١,٥٠
٥٣-	أشتاق إلى الله	١,٥٠
٥٤-	البحث عن السلام	٥,٠٠
٥٥-	أسرار وعجائب في إنجيل القديس مرقس	٤,٠٠
٥٦-	غيِّر عالمك بالصلاة	٦,٠٠

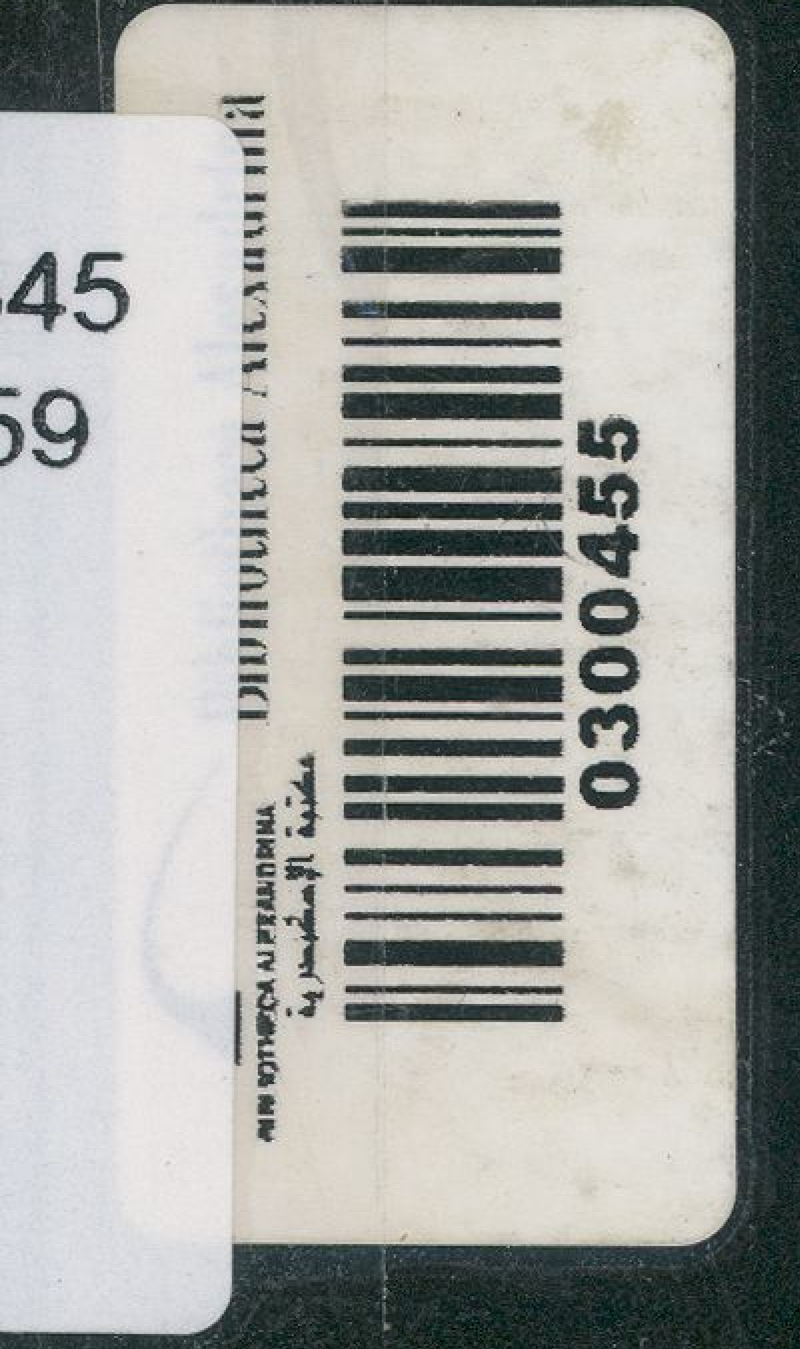
٥٧-	غريب عن المألوف	٣,٠٠
٥٨-	مناضل في سبيل الحرية	
٥٩-	* أبطال المسيحية: في الماضي والحاضر هدسون تايلور ــ في قلب الصين	
٦٠-	* أبطال المسيحية: في الماضي والحاضر جورج موللرــ الوصي على أيتام بريستول	
٦١-	* أبطال المسيحية: في الماضي والحاضر وليم كاري ــ ذهبتُ طائعاً	
٦٢-	* أبطال المسيحية: في الماضي والحاضر كوري تن بووم ــ حارسة جُب الملائكة	
٦٣-	ارعَ قلب طفلك	
٦٤-	علامات على الطريق ــ تأملات عميقة	
٦٥-	الخروج من دائرة الراحة	
٦٦-	آباء وأبناء	

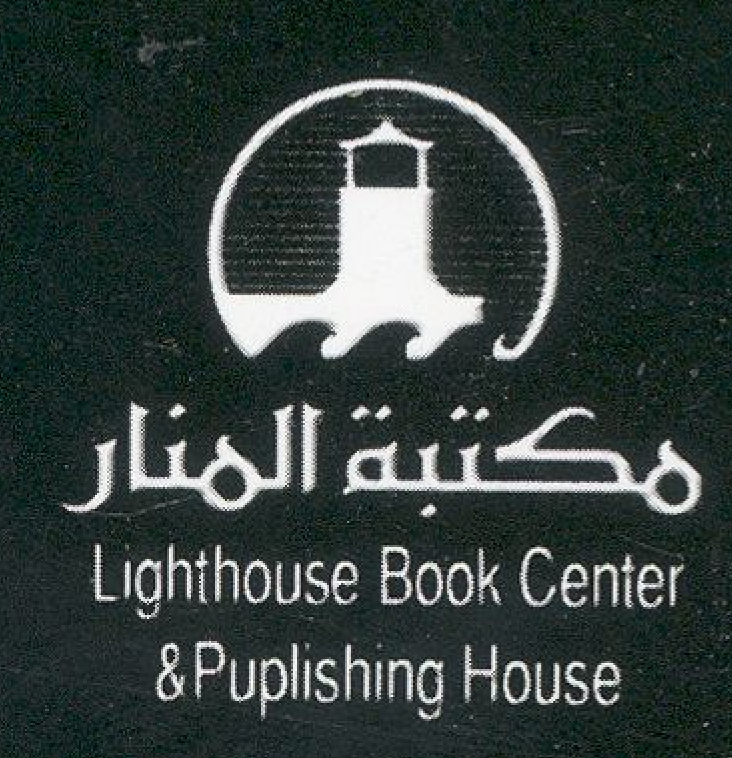
آباء و أبناء

مما لاشك فيه أن طفلى وطفلك يولد وليس لديه الأدوات التي بها يستطيع أن يقف أمام المرآة ليقول "إننى هذا الشخص" أو "إننى مستعد للخروج إلى العالم".. المرآة الوحيدة التي يستطيع أن يفهمها هى أنا وأنت أعنى الوالدين. فعندما ينظر الطفل إلى هذه المرآة يستطيع أن يرى نفسه طفلاً ذكياً...قادراً...محبوباً. أو يرى نفسه طفلاً غبياً...فاشلاً...منبوذاً.

وهذه العملية تضاعف من مسئوليتنا تجاه أولادنا...ذلك أن المهارة الحقيقية أن نرى بعيونهم وأن ندرك مخاوفهم... وأن نعى آمالهم وتطلعاتهم.

هذا الكتيب محاولة منى لمساعدة الوالدين حتى يستطيعوا أن يربوا أولادهم في خوف الرب وإنذاره وبشخصية متوازنة.





مكتبة المنار
Lighthouse Book Center
&Puplishing House